

بين الحياة والموت

حسام حسن

دار كتاب للنشر والتوزيع



مسئول النشر

طارق رمضان

مدير التوزيع

عمر عبد السميع

مدير العلاقات

مها عادل

الطبعة الأولى

الكتاب : كتاتونيا

تأليف : حسام حسن

تصنيف الكتاب : رواية

مصمم الغلاف : مروة صلاح

إخراج : أحمد عبد الرحمن

المقاس ١٤ × ٢٠

رقم الإيداع : ٢٠٨٩٨ / ٢٠١٨

الترقيم الدولي : 9 - 38 - 6597 - 977 - 978

العنوان : ٤٧ تقاطع الفلكي مع محمد محمود - القاهرة - مصر

التليفون : ٠١٠٩٧٥٥٣٣٢٨

Email : darkitabone@gmail.com

إهداء

«العائلـة» أمـى «ميرفـت محمـود» : مـن علمتنـى معنـى الكلمـة وزرعـت التوعيـة دائمـاً بداخـلى واليقـين بوجـود قانـون إلهـى يحمـى تلـك الأرض ومـن عليهـا .

خـالى «محمـد محمود»:مـن فجّـر بداخـلى التأمـل و التفكـير فى مـا وراء الطبيعـة و بدايـة ونهايـة الكـون .

أبى «حسن سيد» صنع المستقبل و الراحة و الاطمئنان .

«ضيـاء الديـن نبيـل، إسـلام حسـن، عمـر عاطـف، مهنـد محمـد، رضـوى محمـد، سـلمى عاطـف، نشـوى أحمـد «أتمنـى لكـم السـعادة و النجـاح مـن كل قلبـى .

الأصدقاء

حـــازم محســـن : الصديـــق والأخ الـــذى ســـهر الليـــالى مـــن أجـــل كتابـــة تلـــك الروايـــة و مســـاعدتى فى ترتيـــب أفـــكاري .. متعـــة صداقتـــك تجعـــل مـــن كل شـــئ ممكنـــاً .

مهـــا نجـــم الديـــن : مـــن فجـــرت تلـــك الموهبـــة واكتشـــفتها بداخـــلى .

إنجـــى مجـــدى زيـــدان :عمـــودى الفقـــرى مـــن ســـاندتنى كثـــيراً والاســـتمرار فى التحفيـــز و الايـــمان بموهبتـــى ودائـــماً عـــلى العطـــاء مســـتمرة .

شكر خاص

أ. مها عادل : شكراً على مجهودك فى التصحيح اللغوى و النحوى .

د.محمد طه : من أشعل بداخلى مصباح السلام النفسى وأتمنى أن اجلس معه يوماً.

و أخيراً .. الشكر للقارئ الذى من دونه أنا بلا أى قيمة

تلك الرواية هى بين الحقيقة والخيال وليس لها أى ترويج او هدف سوى التوعية النفسية فى اطار أحداث مشوقة وكل كلمة هنا تحتمل الخطأ و الصواب .. وتخضع للنقد و يؤخذ منها و يرد عليها

«المرجع»

- كتاب علاقات خطرة / د .محمد طه

مقدمة

وإذا مـا أشـتد الكـرب تفوهـت أفواهنـا برغبـة المـوت ولكننـا لا نريـده حقـاً، ليـس خوفـاً فنحـن نمـوت إختناقـاً بالواقـع فى اليـوم مائـة مـرة .

«نحن نريد الحياة .. ونخافها فى ذات الوقت»

ربـما لأننـا نجهـل كيفيـة القيـام بالخطـوة الأولى للحيـاة فنلجأ للتظاهـر بكوننـا نريـد المـوت فى حـين أن كل مـا نريـده هو :-

«الحيـــاة»

يومـاً مـا ظهـر أحدهـم في قريـة ريفيـة لم يتوقـع أحـد مـا شـاهدوا، ذهبـوا مُسرعـين إلى ديارهـم دون أن ينظـروا خلفهـم

كانـوا مجموعة مـن الأصدقـاء أحدهم مصـاب فى قدمه ولكنه قويـا يتحمـل الآلام دائـماً ،ليظهر قوياً أمـام الناس.

الثانـى لم يكـن قويـاً بقـدر مـا كان ذكيـاً جـداً وكان يسـتخدم ذكائـه في خـداع مـن حولـه، يثـير إعجابـى أنـه يحـاول دومـاً أن يبـدو غبياً .

والثالثـة كانـت بنت لم يكن لهـا مثيل، تجتمع بهـا كل الألوان.. ملامحهـا الصغـيرة التـى تجـذب أى شـخص بمجـرد النظـر إليها وجسـدها الضئيـل الـذى يجعلهـا كفراشـة فى ملابسـها، طيبـة قلبهـا، وشـفافية عقلها .

الرابـع هـو أنـا .. لم أتوقـع ابـداً فى يـوم أن أكتب مـا حدث فى حياتـى، تلـك الشـخصية الغريبة التـى لم يتوقع منها أى شـخص رد فعـل، الهـدوء المسـتمر، التحـدث ببطء، الملامـح النبيلـة التى توحـى بالطيبة .

***

السـاعه ٩:٣٠ مسـاءاً في قريـة تُسـمى «مغاغـة» فى محافظـة « المنيـا» كان الهـواء متلاحـق في أرجـاء المـكان، والجـو قـارس الـبرودة، وكنـتُ أسـير وحـدى بهـدوء واضعـاً يـداى بداخـل

جيوبـى لم أبـال بأحـد .. ظهـرت امـرأة يبـدو مـن ملامحهـا أنهـا في نهايـة الأربعينيـات كانـت خارجـة مـن وراء أشـجار المـوز «يتسـم شـجر المـوز بإنـه إذا اقـترب مـن بعضـه يُخفـى مـا بداخلـه» ،انتظـرت حتـي خرجـت المـرأة ولاحظـت علامـات الدهشـة بملامحهـا وكأنهـا تسـأل «مـا الـذى أتـى بـك إلى هنـا يـا صغـيرى؟!»، تشـبه فلاحـات الزمـن المـاضى، ملابسـها متسـخة، تحمـل وشـماً عـلي وجهها ،هـو ليـس بحـدث نـادر الوجـود ولكنـه كان شـائعاً قديـماً .

كنـت في الثانيـة عـشر مـن عمـرى، جسـدى نحيـل ،ضعيف ،هزيل..ليـس بإمكانـى إيـذاء قطـة صغـيرة ...بـدت القريـة فى ذلـك الوقـت هادئـة تمامـاً، السـكان نائمـون ،نـادراً ماتـرى شـخصاً فى الشـوارع و الشـئ الوحيـد الـذي يبقـى مسـتيقظاً مقهـى «أم كلثـوم» .

نظرت لى بدهشـة، و يومهـا لم يأتِ في مخيلتى أننـى قد ارتكبت خطـأ بأننـى أتيـتُ إلى هـذا المـكان ..وقفـت في مكانـى ووقـف الزمـن معـي إلا الهـواء كان ينخـر فى ثيابـى بقـوة، حتـي شـعرى لم يسـلم مـن برودتـه .. كانـت المرأة تسـير باتجاهى، وتنظـر بعينى حاولـت أن أنظـر حـولى، ولكننـى لم اسـتطع ان أغـادر عينيهـا، وشـعرت بأننـى اتجـه نحوهـا وليسـت هـي مـن تسـير تجاهـى، وقفـت مـكاني حتـى رأيتهـا أمامـى مبـاشرةً قائلةً :

- أنت شوفت ايه ؟

- مشوفتش حاجة

ابتسمت إبتسامة هادئة ثم قالت بحنان مصطنع :

- إرجع البيت ياحبيبي الجو برد النهاردة .

كانت يداى ترتعشان بشدة، لم أكن أعلم ما السبب؟! هل بسبب برودة الجو أم كنت خائفاً ؟! حاولت إخفاء هذا ولكن لم تكن يداى فقط من ترتعش بل جسدى بأكمله، يهتز إهتزازة سيارة تسير فى طريق متعرج .. ملامحها النبيلة فقط كانت القادرة على بث الطمأنينة بقلبى.

قلتُ بصوت خافت غير متزن وأنا أحاول إصطناع التماسك

- حاضر .. أنااا كنت مروح اصلا !

ذهبت و حاولت ألا أنظر خلفي ولكننى لم أستطع، نظرت إلى الخلف رأيت المرأة تعود مرة أخرى إلى شجر الموز، أكاد أجزم أننى من شدة الفضول تمنيت أن أعود وأسير خلفها ولكن كنت صغير وعقلى لا يستوعب فكرة كهذه .

استيقظت في الساعة ١٠:٤٥ صباحاً .. لم يكن أحداً مستيقظاً ذهبت إلى المطبخ شربت قليلاً من الماء و خرجت إلي الشرفة

انظر إلى شجر الموز من بعيد، لم أر شيئاً بالداخل لقرب الأشجار من بعضها، كانت الشمس جميلة هذا اليوم، حرارتها دافئة كلمسة يد أم لإبنها عند ذهابهم إلى المدرسة في الشتاء البارد ..

انتظرت قليلاً حتي يظهر أحد في هذا المكان ولكن لم يظهر أحد ..

والدي يعمل مهندساً ووالدتى ربة منزل أما أختي «ثريا» فكانت تكبرنى بخمس سنوات لم تكن مجرد أخت بل أمي الثانية، جميلة من الداخل والخارج، رقيقة المشاعر، قوية وقاسية فى بعض الأحيان حينما تشعر بالمسئولية تجاهى .

الآن أجازة نهاية العام الدراسى لا أحد يأمرنى بشئ، أذهب للعب الكرة أنا و أصدقائى وقتما شئت، أنام كثيراً، أذهب للصيد أفعل ما يحلو لى.

اليوم سأقوم بفعل شئ جديد وسأكتشف أمراً مختلفاً، استيقظت هذا اليوم ويوجد بعقلى الكثير من الفضول الذي كاد أن يقتلنى وأننى لن أترك ما رأيت بالأمس وما هى حقيقة هذه المرأة و ما هى الاشياء التي أرتبتُ عندما رأيتها ؟!

ذهبتُ إلى الداخل لأشاهد التلفاز رأيت أختى جالسة على الأريكة وتحاول أن تقوم بتشغيل التلفاز، ذهبتُ إليها وأخذتُ

منهـا الريمـوت دون أن أحدثهـا وأخرجت منه حجـارة البطارية وضغطـت عليهـا بأسـناني صرخـت في وجهـى بقـوة كعادتهـا :

- أنت مجنون ؟!

- ليه ؟!

- انـت متعرفـش إن البطاريـة دي مليانـة رصـاص لـو بلعتـه تمـوت علطـول ؟!

- أموت ؟! إزاى يعني مش للدرجة دى .

- أنا مش بهزر دلوقتى .

- طيب ياستي خلاص .

نمت علي رجليها وظللت أفكر في الموت ما هو الموت؟!

كنـت كل مـا أعرفـه عـن المـوت يومهـا أنه «هـو نهايـة اللعبة التـي نلعبهـا » وهـل حياتنـا مثـل الألعاب؟وهـل سـنموت يوماً إذا مرضنـا أو عنـد إرتـكاب فعـل أحمـق كإصتدامنـا بسـيارة سريعـة؟ وهـل هنـاك حيـاة أخـرى سنعيشـها بعـد المـوت، لم افكـر كثـيراً نهضـتُ مسرعـاً لكـي أتصـل ب سـيف :

- ألو

- ايه يا احمد !

- يلا علشان هنروح الكورة مع بعض

- انت عبيط اروح اعمل ايه !

- تتفرج علينا مش هروح من غيرك .

- لا يا عم انا تعبان

- اخلص بقي .. هستناك تحت البيت .

- طيب

أغلق سيف الهاتف و هو سعيد قليلاً، ثم نظر إلى قدميه وشرد بتفكيره طويلاً في يوم الحادث ...

كان يوماً عصيباً كنا جالسين علي الرصيف منتظرين المباراة التالية أنا و سيف و يوسف .. جالسين بجوار بعضنا البعض نضحك علي شخصاً يبدو عليه أنه لم يلعب كرة القدم من قبل، وفجأة ركل الكرة بوجه قدمه بقوة جعلت الكرة تخرج إلى الشارع الرئيسى .. نظرت إلي الكرة وهي في السماء ولم أعلم لماذا شعرت بالخطر؟ كنت أعلم أن سيف دائماً متهوراً وأجرأ من بنا .

كان قوياً وجريئاً جداً فنظرت إلى سيف بجانبى لكي اقول له لا تبال وأتركها ولكن لم اشعر بأنه سبق كل شئ حتى الكرة .. ذهب باتجاه الطريق ،تزحلقت قدمه وكانت هناك

سـيارة أيضـاً في إنتظـاره .. مـرت على قدمـه اليـسرى ولم تتوقف السـيارة، فـر سـائقها هارباً .

- سيييييف

قلتهـا وركضـت نحـوه مسرعـاً ولكـن سرعـان مـا نهـض ووقـف عـلى قدميـه، وكأن شـيئاً لم يحـدث ،ولكن هذا هو سـيف يظهـر قويـاً مهما تـألم .. رفـع بنطالـه إلى الأعلى فرأيت شـلال من الدمـاء ينهمـر عـلى قدميه .

لم يكن يتألم ولكنى رأيت الخوف بعينيه حينما رأى الدماء .

انقطع حبل أفكاره وأنا أنادى عليه بقوة :

- سيييف ...يا سيييف !

- ايه يا عم نازل خلاص .

- اخلص.

- طيب .

عندمـا دخلـت إلى الملعـب رأيت يوسـف يأخذ نقـوداً من كل الحاضريـن لا أعلـم لمـاذا ؟! ولكن الأمـر أثار بداخلى الشـكوك

نظـرتُ إلي عينيـه وذهبـتُ إليـه وعندمـا وصلـت إليـه ورآنى قـد ارتبكـت كثـيراً ،قال :

- أتأخرت ليه ؟!

- ايـه الفلـوس دي ؟! انـت مـش قلـت مـش هنلعـب عـلي فلـوس تانـى؟

- ياعم متقلقش هنكسب .

- وإفرض مكسبناش ..نتخانق تانى ؟!

- ياعم متخفش .. أنت عارف لو كسبنا هيبقى معانا كام؟!

- بردو بتفكر في المكسب بس .. أنا ماشى .

- سيب سيف طيب .

- لا سيف هيروح معايا أتضرب لوحدك بقى .

ذهبـت أنـا وسـيف وأكاد أُجُـزم بأنـه سـيخسر ولـن يخسر وحسـب بـل سيتشـاجر .. نظـرت إلى الخلـف رأيتـه ينظـر إلى النقـود وهـو متحمسـاً وفى غايـة السـعادة .

***

الساعة ٨:١٥ مساءاً

ذهبـت إلى المسـجد لصلاة العشـاء ودرس اللغـة الإنجليزية.. لم أر سـوى سـيف ولم يـأتِ يوسـف، نظـرت إليـه وهـو جالسـاَ على كرسـى خشـبى قصير وينظـر إلى قدمـه، ذهبت إليـه ووقفت

بجانبـه واضعـاً يـدي علي كتفـه وأنحنيـت إلى أذنـه قائلاً :

- يوسف مجاش ؟!

- لأ

- تفتكر ليه ؟!

نظر لى محاولاً إخفاء ضحكته وقال :

- أكيد أتضرب وأبوه كمل عليه ومش هيجى .

- أنا كنت متأكد ان دا اللى هيحصل .

ذهـب المـؤذن إلى إقامـة الصـلاة ووقفنـا صفـاً تلـو الآخـر ووقفـت بجـوار سـيف في نهايـة الصفـوف كعادتنـا حتـى إنتهت الصـلاة وجلسـنا منتظريـن درس اللغـة الانجلزيـة .

دخلـت علينـا « مريـم « و « الشـيخ عـلي « بعد إنتهـاء الصلاة إتجهنـا نحوهـم أنـا وسـيف وجلسـنا معـاً .. فتـح الشـيخ عـلي كتـاب اللغـة الانجلزيـة وهـو ينظـر لى ويقـول :

- ها حفظت ولا زي المرة اللي فاتت ؟!

ابتسمت وأنا أنظر إلى مريم في خجل قائلاً :

- اه حفظت .

كانـت مريـم تتفـوق دائـماً علينـا جميعـاً وتتـذوق طعـم النجـاح ونحـن نتـذوق طعـم الفشـل ولكـن بـدون مـرارة فالفشـل الجماعـي لا نكـترث لـه إذا أصابنـا جميعـاً، لا أعلـم لم أنسـى دائـماً مـا حفظـت؟ «هـل لأننـي أنظـر إلى عينيهـا؟! « .

إنتهينـا مـن الـدرس وغادرنـا المسـجد معـاً ،كنا أصدقـاء منذ أكثـر مـن سـنة تقريبـاً ولكننـا كنـا بمثابـة عائلـة لسـنا أصدقـاء فقـط.. نجتمـع فى الأفراح والأحزان وفى اللهو و الدراسـة أيضاً .

خرجنـا مـن المسـجد ووجدنـا فى إسـتقبالنا يوسـف، جـاء ليصطحـب أختـه الصغيرة«مريم»، كانت فى العـاشرة من عمرها ،لا أراهـا إلا بـدرس اللغـة الانجلزيـة، وهذا الـدرس نحضره فى الأجـازة فقط .

مـرت دقائـق و نحـن واقفـون معـاً كاد الفضـول أن يقتلنـى، وأخـذت أتسـائل لمـاذا لم يـأت يوسـف حتـى الآن ؟!

ملتُ تجاهه وهمست فى أذنه قائلاَ :

- خسرت واضربت صح ؟

ضحك ونظر لى فى ثقة قائلاً :

- بس عشان البت متسمعش و تقول لأبويا .

- ايه اللي حصل ؟

- خرجت بحجة إنى رايح أشرب وهربت بالفلوس هههههه .

نظرتُ له بغضب، وقلت بعصبية :

- أنت مش هتبطل نصب ؟

- هششش .. بس بقي .

فى هذه اللحظة كانت مريم تتحدث مع سيف فيما علينا حفظه فى درس اللغة الانجليزية .

عرضت عليهم أن نسير من شارع آخر هذا اليوم ،وافقوا جميعاً إلا يوسف، كان دائماً يريد أن يتخلص من أخته .

مشينا نثرثر في الطريق المظلم عن مدى سخافة الأجازة دون أن نذهب إلى البحر أو أن نسافر إلى أى مكان حتي وصلنا إلى شجر الموز الذي رأيت المرأة عنده ،لا أعلم حتي الآن لم أردتُ أن أذهب إلى هذا المكان مرة أخرى؟! .

قاطعنى صوت مريم المرتعش حديثى مع يوسف ..

- ايه دااال ؟

نظرنا جميعاً في ذُعر حتى رأينا ولداً يشبهنى كثيراً بل وكأنه قرينى أو كأننى أنظر إلى نفسى بالمرآة ولكن كان أقصر منى قليلاً وملامحه حادة،لم يكن أحد يتوقع ما شاهدنا جميعاً ،ذهبنا مسرعين

دون أن ينظر أحد إلى الخلف .. ولكننيٍ توقفت و نظرت خلفى ولم أر شيئاً وكأن ما رأيناه حلم ،ولكننى أفهم جيداً ما رأيته .

في تلك اللحظات كان الجميع ينادينى،ولكننى تركتهم حتى انخفضت أصواتهم وصمتوا جميعاً وأغمضت عيناى محاولاً أن أتذكر ما رأيته ولكن سرعان ما أنتبهت ونظرت إليهم وأستدرت وذهبت مسرعاً دون تفكير .

ظلوا يتحدثون ولكننى لم أعير أدنى إهتمام لكلامهم، فكل منهم يعتقد أن ما شاهدوه هو شيء من الجن يشبهنى أو قرينى ولكننى كنت من يعلم حقيقة الأمر .

***

لم أُخبر أحداً عما رأيت ودخلت غرفتى وجلست على السرير محاولاً إستعادة هذا المشهد مجدداً ولكن باء الأمر بالفشل واستسلمت للنوم.

استيقظت فى تمام ١١:٣٠ صباحاً على صوت أختى « ثريا « تتحدث مع أمي بعنف :

- أنا زهقت وعايزة اخرج !! انا مش هفضل محبوسة في البيت .

- عايزة ايه يعنى ؟

- أخرج أروح أى حتة .

- لما أخوكي يصحى أبقى إنزلى إنتى وهو .

- بقولـك عايـزة أخرج و أشـوف نـاس جديدة، عايـزة أروح القاهـرة عنـد خالتى و بنـت خالتى .

- لا طبعاً .. مين هيروح معاكى ؟!

- هــو أنــا هتخطـف أنــا عنــدي ١٧ ســنة، بابــا يودينــى ويســبنى هنــاك .

- لما ابوكي يجي قوليله .

كنـت مـتردداً أن أحكـى ما شـاهدته ليلـة أمس هـل كان حلماً أم تهيـؤات ؟! لا لا ليسـت تهيـؤات .. الـكل رأى ذلـك لسـتُ وحـدى مـن رأى، كنـت أفكـر وأنـا جالس عـلى السريـر واضعاً يـدى بجانبـى إسـتعداداً للذهـاب إلى دورة الميـاه.

دخلـت ثريـا بقـوة عـلى غـير عادتهـا ودون أن تطـرق البـاب وقالـت في غضـب :

- أنا زهقت من البيت ده .

انتفضـتً ونظـرت إليهـا فى دهشـة وكأنهـا أتـت لكـى تقطع حبـل أفـكارى الـذى كان بالقـرب مـن أن يعقـد عقـدة تصل بى إلى الحقيقـة نظـرت لى وقالـت :

– مالك اتفزعت كده ليه ؟!

– حد يدخل كده ؟!

نظرت لى وهى متحيرة قائلةً:

– هو أنت كويس ؟

شعرت أنها فرصتى للتحدث ..

– أنا شوفت محمد امبارح .

– محمد !! محمد مين ؟؟

– محمد أخويا .

نظرت لى في دهشة غير مصدقة ما أقول وأتسعت عيناها وهى تحدق بى.. سقطت في قاع عيناى تسبح محاولة أن تجد ما تبحث عنه ولكنها فشلت، ثم أخذت نفساً عميقاً وقالت لى فى فضول وبسخرية :

– شوفتة إزاى يعنى فى الحلم ؟!

– لا هنا عند شجر الموز .

– شجر ايه ؟! نام يا احمد انت شكلك بتخرف .

– أنا مش بخرف أنا بتكلم جد .

- انت عايز تجنني ؟! شـوفت محمد ازاى يعنى ؟! محمد مات .

- أيـوه عـارف بـس أنـا شـوفته، ومـش أنـا لوحـدي أنـا وصحابــى .

- أحمد انت عارف لو بتهزر هعمل فيك إيه ؟

- أنا مبهزرش .

نظـرت لى ثـم نظرت إلى الصـورة المعلقـة على الحائـط وكانت تجمعنـى انـا ومحمـد وفى عينيها حنـين وإفتقاد لوجـود أخى .

***

كان محمـد أخـى التـوأم ويشـبهنى كثـيراَ في الشـكل والحجـم والـوزن ولكـن كان أقـصر منى قليـلاً وأعنف، لا يحـب الناس لا أعلـم لمـاذا؟ ولكنـه فى أواخـر أيامـه كان قليـل الـكلام .. دائماً لا يكـترث بالـكلام وردوده عنيفـة، وعند جلوسـنا معـاً لا يتحدث فى اللعـب مثـل أى طفـل فى مثـل عمـره، هـل كان يشـعر أنـه سـيموت؟ وهـل حقـاً مـن سـيموت يشـعر قبلهـا بدنـو أجله؟!

كانـت الأسـئلة التـى يطرحهـا دائماً -محمـد- أسـئلة وجودية مثل :

- هل هناك حياة بعد الموت ؟!

- هل هذا العالم حقيقي أم وهم ؟!

- هل لدينا إرادة حرة « مسير ام مخير « ؟

-هل الله موجود وأين هو ؟!

- ما هي حقيقة الأرقام ومن أين أتت ؟!

وكان كل ما يثير إنتباهى السؤال الأول وهو :هل هناك حياة حقاً بعد الموت ؟! كنت أشاركه التفكير فى بعض الأحيان، ولكن سرعان ما أنشغلت بأمور تبدو أكثر إثارة لى .

***

نظرت لى «ثريا» مرة أخرى وهي تتأمل وجهى و تقارن بينى وبينه من حيث الشبه، كانت دائماً تميزنى بحسنة فوق حاجبى الأيمن نظرت إلى ثم قالت :

- أوعى تجيب سيرة لأمك احنا ماصدقنا حالتها تتحسن شوية .

- حاضر .. بس هو ايه اللى أنا شوفته ده ؟!

- ممكن تنسى اللى انت شوفته ده ومتروحش هناك تاني .

- انسى إيه ؟ أنا كل يوم بشوف حاجة غريبة هناك .

- غريبة إزاى يعنى ؟!

- شـــوفت ســـت غريبـــة كـــده وأول مـــا شـــافتنى قلقـــت وجاتــلى وســألتنى أنــت شــوفت إيــه ولمــا قولتلهــا مشــوفتش حاجــة هديــت وقالتــلى طيــب روح البيــت الجــو بــرد .

- انت ايه اللي بيخليك تروح هناك أصلاً ؟!

- كنت بتمشى !!

- قــوم إفطــر وإيــاك تــروح هنــاك تانــى .. مــش كفايــة الــلى حصــل لأخــوك.

- طيب .

ذهبـت إلى الإفطـار وتركـت خلفـى «ثريـا» غارقـة فى دوامـة تفكـير هائلـة ولكننـى عـلى يقـين أنهـا لم تصدقـن الحديـث.

جلسـت عـلى الكرسـى واضعـاً رأسـى عـلى يـدى ناظـراً إلي الإنـاء الـذي أمامـى متذكـراً مـا حـدث منـذ سـنوات .

رجعـت بذاكرتـى إلى الوراء،منـذ ثلاث سـنوات كنت أجلس مـع أخى بالمسـجد ،قائـلاً له:

- أنـا هـروح ألعـب ماتش مـع صحابى لو الشـيخ سـأل عليا قوله إنـــى تعبان .

- إزاي يعني ؟! أنا مش هكدب .

لم يُكمل كلامه بعد حتى تركته وذهبت إلى خارج المسجد مسرعاً، كنت لا أبالى بشئ إلا الماتش، لم أفكر فيما سوف يقول أو ما سيفعله لعبت مباراة لمدة ساعة كاملة وكنت خارجاً لكى أشرب القليل من الماء ورأيت أبي في وجهى كل ما جاء بذهنى وقتها أنه جاء لمعرفته عدم ذهابى للدرس، نظرت إليه وهو يقترب منى وتوقعت أن يصرخ بوجهى أو يوبخني ولكنه أخذ بيدى وذهب مسرعاً ولم يتكلم أو ينطق بكلمة واحدة .

نظرت له وقلت بلهجة إعتذار :

- أنا أول مرة أعمل كده .

- انت سبت أخوك ليه ؟!

- ما أنااااا ...

قاطعنى قبل أن أُنهى حديثى ووقف فجأة ثم نظر إلى وقال بغضب وحزن شديدين « أخوك غرق «

- أخوك فى ناس شافت هدومه عند النيل ورا شجر الموز، هو مقالكش هو رايح فين ؟

- لا أنا سايبه فى المسجد .

- أمشى معايا « أمك بتموت هناك « .

سـحب يـدى بعنـف وأخـذ يـسرع مـن خطـاه، وكانـت خطـاه قويـة تهـز الأرض مـن تحتـى، أمـا أنـا كنـت أركـض مـن سرعـة خطـاه وقوتهـا شـعرت أن نصـف وجهـى يشـتعل مـن قـوة الصدمـة، كانـت أول صدمـة بحياتـى ..

قـد نتعـرض بحياتنـا لمواقـف صادمـة، ولكـن صدمـة الموت أقـوى بكثير ..

كان عمـرى لا يسـمح بـأن أتحمـل صدمـة كهـذه، فالمـوت لا نصائـح ولا مسـكنات تغـير مـن وقعـه .

***

مـرت دقيقتـين مـن التفكـير وأنـا ألهـث ولا أسـتطيع التنفس شـعرت أن الطريـق يقـترب وأن عنـد وصـولى إلى هناك سـينتهى كل شـئ وكأنه كابـوس ..

سـمعت صـوت صراخ أمـى وكان قلبـى يخفـق بشـدة كلـما أقتربـت أكثـر، كانـت عربـة الشرطـة تقف عـلى الطريـق وبعض الفلاحـين وأمـي وأختـى، أما بعـض الرجال من الفلاحـين كانوا بداخـل الميـاه يبحثـون والبعض الآخـر داخـل الـزرع، إقتربنا أنا وأبـى من رجـال الشرطـة وكان واقفـاً وبيده صـورة لأخى محمد عندمـا رآنى ابتسـم وقـال لأبى في دهشـة :

- لقيته فين ؟!

– ده مش محمد ده أخوه التوأم أحمد .

– طـب أنـا عايـزك تطمـن إحنـا مـش هنمشـى غير لما نلاقى حاجـة تطمنا .

– أنـا معرفـش هـو إزاى يجيلـه جـرأة أنه ينـزل هنـا وفى وقت متأخـر زى ده !!

– أنـا عايـزك تهـدى كده أنـت راجل مؤمـن وعشـان أمه أنت شـايف عاملة إزاى .

– إحنا لو ملقناش الواد ده أمه هتموت .

فى هـذه اللحظـة تركـت يـد أبـى وذهبـت إلي أمـى وعندمـا لمحتنـي نظـرت بقـوة وكأن كل مـا فى عينيهـا صـورة لى أنـا وأخـى، ركضـت بإتجاهـى وسـألتنى بلهفـة :

– أخوك فين وسيبتوا بعض ليه ؟!

– معرفش أنا سيبته في المسجد .

– مش ده اللبس اللي كان بيه معاك ؟!

– أه

– طيب هو فين ؟!

صرخت بقوة في نفس اللحظة وكانت تصرخ فى المطبخ وأنا سارح بمشهد إختفاء أخى .. إنتبهت وسمعتها تقول «ثريا» بعصبية :-

- إنتى فين ؟ً! تعالي يلا ساعديني .

جاءت لى ثريا قبل الذهاب إلي أمى ونظرت لى قائلةً : -

- أنت شوفت إيه ؟

- شوفت محمد .

- مانا عارفة .. كان عامل إزاى ولابس إيه ومين شافه غيرك ؟!

- مانا قولتلك أنا ماشى مع يوسف وسيف ومريم وكنا ماشيين بنتكلم فجأة مريم قالت إيه ده، ببص لقيت محمد ملحقتش أشوف حاجة كلهم جريوا وأنا وراهم وهما ميعرفوش إنى عندى أخ توأم .. هو اللي أنا شوفته ده إيه « عفريته» ؟!

- معرفش .. معرفش حاجة !!

تركتنى وذهبت بإتجاه المطبخ وأنا وحدى في تفكيري أريد

أحد يجيب على أسئلتى .

***

الساعة ٥:٣٠ مساءاً في اليوم ذاته كنت نائم أشاهد التلفاز وسمعت يوسف ينادى بقوة :

- أحمد ... أحماااااد .

- إيه ياعم فى إيه .

- إنزل .

- طيب .

كنت أعلم أنه أتى لكى يسألنى عن ما رأيناه بالأمس .. نزلت مسرعاً ثم جلسنا أمام البيت على حجر كبير وساد الصمت، ثم نظرت له وقلت :

- جاي بدرى ليه !! مش الدرس بعد العشاء ؟!

- هو إيه اللي أحنا شوفناه إمبارح ده ؟!

- مش عارف .

- أنت عليك جن ؟!

- ياعم جن إيه .. أنت مش فاهم ،هحكيلك بالليل لما أشوفك أنت وسيف .

- طيب .

تركني وفى عقلى حيرة، هل يمكن أن أتحدث عن ذلك وأمى دائما تحذرنى أن أتكلم فى هذا الموضوع مع أي شخص ولماذا تحذرنى دائما من الكلام في هذا الموضوع ؟!

***

الساعة ٧:٠٠ مساءاً وصلت إلى المسجد وأقمنا الصلاة وكان برفقتى سيف ويوسف .. إنتهينا وذهبنا إلى الدرس وكانت مريم تنتظرنا، جلسنا منتظرين الشيخ علي ..

وقبل أن يأتى بدقائق أخبرتهم بقصة أخى منذ سنتين ولم نعثر عليه حتى الآن وأنه مات غرقاً .. وفى آخر الحديث أتى الشيخ على وبعد أن إنتهينا من الدرس قبل أن يغادر الشيخ سألته بفضول :

- بعد إذنك يا شيخ سؤال بس .

- قول يا حبيبى .

- هو ممكن الواحد يشوف واحد مات ؟

- يشوفه إزاي يعنى ؟! بص يا أحمد من مات لا يعود للدنيا مرة أخرى لقوله تعالى « ومن ورائهم برزخ إلي يوم يبعثون « صدق الله العظيم .

- طيب لو حد شاف واحد مات من فترة ده يبقى إيه ؟!

– قـد يظهـر الشـيطان بصـورة بعض الأشـخاص بعـد موتهم وما ذلـك إلا مـن تلبيس الشـياطين الذيـن يضللون بـه المؤمنين، وكثـيراً مـا يـروى النـاس قصصاً مكذوبـة فى هذا الشـأن .

– شكراً يا شيخ .

ذهبنـا جميعـا وفى عقلى ألف سـؤال هـل أخى مات ولـن يعود مـرة أخـرى ؟! هـل هـو الآن رأى حقيقـة المـوت ؟! وصـار على علـم بـكل مـا كان يـدور فى ذهنـه؟ .. كنـت صغـيراً ولا أتحمـل عـبء هـذه الأسـئلة والجـواب عليها .

***

عـدت إلى المنـزل ولم أصعـد إلى الشـقة مبـاشرة، جلسـت بجـوار المنـزل أفكـر فيـما كان يقولـه دائـماً عـن المـوت وهـل كان يشـعر أنـه سـوف يمـوت قريبـاً إلي هـذه الدرجـة ؟

تذكـرت عندمـا كنت جالسـاً معـه فى إحـدى المرات أنـا وأبى وكنـا نصطـاد وطـرح سـؤال عـلى أبـى « بعـد الموت هنـروح فين ؟ « كان أبـى فى هـذا الوقـت يسـتخف بعقولنـا أو أنه ليـس لديه إجابـة بالفعـل .. رد عليـه أبـى « هنروح عنـد ربنا « .

نظر لى محمد فى هذا اليوم وقال بصوت خافض :

– مكنتش عارف أنا بقى المعلومة دي .

ضحكت كثيراً وقلت له :

- أنا شايف إن هى دي الإجابة الصح .

- لا أنا مش شايف كده « ليه مش ممكن أن أنا أموت هنا فى مصر وأتولد في أمريكا ولا فرنسا ؟ «

- إزاى يعنى ؟!

- أقعد أنت بس خليك في الكورة بتاعتك .

- أنت بتجيب الكلام ده منين ؟!

ابتسم إبتسامة لم أفهم معناها حتى هذا اليوم ولم يجب على سؤالى ونظر إلي السماء ثم ساد الصمت كنت يومها لا أبالى بشئ ولم أفكر لماذا يقول هذا ولماذا يفعل ذلك ولماذا يفكر بهذا الشكل ؟!

***

صعدت إلى المنزل وأنا أفكر أن أخبر أبى وأمى لأننى لا أتحمل التفكير وحدى فى هذه المسألة .. ذهبت إلى غرفتى لتغيير ملابسى وأنتهيت ثم بدأت في التفكير مرة أخرى ..

جلست فى الشرفة وحدى وكان أبى أمام التلفاز يشاهد مباراة لأول مرة أن أشاهد كرة القدم، أتذكر هذا اليوم جيداً أختى كانت تعد لنا العشاء حيث كانت أمى لاتغادرغرفتها من بعد حادث أخى .

جلست وحدى أنظر إلى السماء محاولاً أن أتخيل ما وراء السماء والكرة الأرضية، وليست الكرة الأرضية وحسب بل أحاول تخيل نهاية هذا الكون .. لم أتخيل يومها أن افكر في هذا وكان كل ما يشغلنى في هذا الوقت كرة القدم والمدرسة واللعب والأصدقاء ولكن أشغلنى كثيرا أن أكون مثل أخى وأُكمل ما كان يبحث عنه دائماً .

نظرت إلى الساعة وكان قد مر من الوقت الكثير كانت الساعة قد وصلت إلى ١١:١١ نظرت إليها مندهشاً كيف تأتى لحظة حظ هكذا أن تأتى كل الأرقام برقم ١ فى اللحظة التى أنظر إليها ،وكانت أول مرة ألاحظ هذا ولكننى لم أبالي يومها، كانت لدى ساعة رقمية أحبها كثيراً لا أتركها أبداً حتى في لحظات النوم .

***

بعد مرور عشر سنوات

القاهرة الآن وأنا اجلس على تاندة عمارة قديمة فى وسط البلد تسمى عمارات الخديوى .. أربعة عمارات ضخمة تتميز بالقباب الفريدة شاهدة على العصر القديم وعراقته تتواجد في منتصف شارع عماد الدين، عمرها يتجاوز المائة عام ومازالت شامخة وشاهدة على التاريخ القديم .

ورغـم تدهـور أحـوال هـذه العـمارات مـن تـآكل فى الحوائط والنوافـذ والبوابـات، إلا أنهـا مازالـت محتفظـة بقوتهـا وجمالهـا وشـموخها وصمودهـا، لأنهـا كانـت يومـا مـا تضاهـى القبـاب الشـهيرة فى أوروبـا عنـد وصولـك إليهـا تـستقبلك البوابـة الحديديـة الضخمـة و العتيقـة و كأنهـا بوابـة زمانيـة تقـودك إلى ساحة واسعة مـن العصـور القديمـة بداخلهـا بوابـات تقـودك إلى المبانـى، متصلـة، لـكل منهـا مصعدهـا الخـاص، يقـودك إلى طوابـق يشـغل أغلبهـا شركات وفنـادق لا تـزال عـلى هيئتها منذ خمسـينيات القـرن المـاضى ثـم تعـبر هـذه الطوابـق إلى أن تصـل إلى الطابـق الأخـير الـذى يقـودك إلى سـلم خشـبي يصـل بـك للسـطح الـذي يسـتوطن بـه عائـلات منـذ عـشرات السـنين يمارسـون حياتهـم بشـكل طبيعـى في أكشـاك نصفهـا خشـبى ونصفهـا خرسـانى طالتهـا هـى الاخـرى تجاعيـد الزمـن و العشـوائية لسـنين متتاليـة ثـم تقـودك إلى سـلم حديـدى يصـل لقبـة العـمارة، وهـي الشـئ الوحيـد فى المبنـى الـذي يـكاد يحتفظ بشـكله منـذ أمـر الخديـوى إسـماعيل بإنشـاء قاهرتـه الخديويـة لتكـون القاهـرة باريـس الـشرق ..

والآن يسـعون إلي ترميـم هـذه المبانـى العتيقـة لكـى يعود لها بهائهـا وجمالهـا ورونقها مـن جديد ..

بــدأوا بالفعــل العمــل فى مــشروع ترميــم هــذه المبانــى وانتهــوا حتــى الآن مــن مبنيــين فقــط .

***

الآن أجلــس عــلى تانــدة الطابــق الثالــث وفى يــدى قلــم وأوراق أدون كل مــا يحــدث في حياتــى، بجــوارى زجاجــة مــن الخمر احتسـيت نصفها وأكاد اشـعر أننى لا أسـكر حتـى الآن ..

المنظر من هنا مرعباً إلى حد

كبـير ولكننـى لا أشـعر بذلـك لا أعـرف لمـاذا هـل هـذا تأثير الخمـر أم أنـا أعتـدت أن أجلـس هنـا منذ أسـبوع؟ لا أنسـى أبداً أول يـوم جلسـت هنـا كان قلبـيٍ يخفـق بشـدة وأشـعر أن هنـاك شـخص سـيلقى بي إلى الأمـام ..

كل مـرة أجلـس هنا أفكـر بالانتحـار مجرد تفكـير فقط ولكن لا أتخيـل أبـداَ أن يمكننـى التنفيـذ في يـوم مـن الأيـام فقط أشـعر بالفضـول أحيانـا أن أجـرب مـا يشـعر بـه المنتحـرون عنـد القفز مـن أماكـن عاليـة وعنـد السـقوط هـل حقـاً يشـاهدون كل مـا مـروا بـه فى حياتهـم أم أن السـقوط يأخـذ لحظـات ثـم يرتطـم وجهـى بـالأرض وأصبـح ميتـاً في ثـوان معـدودات ؟

فى كل مـرة أفكـر جديـاً فى الانتحـار أسـمع صـوت جمجمتى وهـى ترتطـم وتتحطـم بأسـفلت المدينة واسـتيقظ مـن تفكيري

محـاولاً ألا أفكـر فى ذلـك مـرة أخـرى كانـت أعضائـى تصـاب بالخلـل وتتعـرض هويتـي إلى الخطرفأسـمع صـوت أنينـى يشـبه كلـب جريـح لا يمكنـه أن يـداوى جراحـه بنفسـه كل مـا يفعلـه أن يجلـس بجانـب الحائـط وينتظر أحـداً يعالجه وإن لم يـأت أحداً فينتظـر مداوته مـن الله ..

أعلـم جيـدا أن الانتحار حـرام وإن مت منتحراً سـوف أبعث يـوم الآخـرة كافـراً ولكـن لمـاذا أعيـش ومـا الفائـدة مـن العيش بمفـردى دون هدف ؟

أجلـس كل يـوم بداخـل غرفـة تشـبه غـرف السـجون، الحائـط متـآكل يوجـد بهـا تلفـاز صغـير لا يعمـل إلا لقنـوات محـددة وسريـر لا يمكـن أن أتحـرك بداخله وانـا نائم بـه و ثلاجة صغـيرة، لا أعلـم إلى أى عـصر تنتمي هـل هي من ايـام الخديوي أم بعدهـا بفـترة وعنـد خروجـي للسـطح وجـدت قطع خشـبية كثـيرة فى الأرض، كل هـذا اعتـدت عليـه منـذ خمـس سـنوات أو أكثـر، عندمـا جئـت لى القاهـرة لكـي أدرس بكليـة الحقـوق جامعـة القاهـرة، لـدي كلـب يُدعـى«**Welson**» هذا الأسـم ظهر في فيلـم «**Cast away**» للممثـل «تـوم هانكـس» فـكان يجد نفسـه وحيـداً عـلى جزيـرة إسـتوائية مهجـورة بمـرور الوقـت يصـاب بالإكتئـاب الشـديد مع صعوبـة إنقاذه من هـذه الجزيـرة المنعزلة، يمـر الوقـت و يتأقلـم مـع حياتـه الجديـدة محـاولاً الحفـاظ عـلى

سـلامته العقليـة او الجسـدية، فقـرر أن يرسـم عـلى كـرة القـدم وجـه شـخص يتحدث معـه حتـى لا يصـاب بالجنـون والوحدة « فـإن أردت أن تنتحـر دون أن تمـوت كـن وحيـداً لفـترة كبـيرة « لا أحـد يعلـم بوجـودى هنـا دائـماً أشـك أننـى ليـس لى أثر على الكـرة الارضيـة عنـد دخـولى إلى هنـا فـكل شـئ متوقف، أشـعر وكأننـى جمـاد و عقـلى هـو مـن يختلـقٍ كل هـذه الأحـداث وأن كل مـا أشـعر بـه أو أشـاهده هـو وهـم وأن حياتـى انتهـت مـن فـترة و هـذا مـا افتعلـه حتي نهايـة الحيـاة ثم نتقابـل أنـا وكل من قابلتهـم في حياتـى، ولكـن لـو أن هـذا حقيقـى هل كنـت قابلت كل مـن ماتـوا بحياتـى؟ كنـت رأيـت أرواح مـن فارقـوا الحيـاة الذيـن كانـوا أغلى مـا نملك وأجمـل ما نعـرف وأصدق مـا ألتقينا بهـم ،سـلبهم الموت منـا بقوة ليـس لنا يد بهـا رحلـوا إلى خالقهم إلى مـن سـيرحمهم ولكـن مـاذا بعـد فقدانهـم مـا الذي يطفـئ نار الاشـتياق والحنـين إليهـم؟ و هـل نملك سـوي الدعـاء لتقديمه إليهـم ؟» أتمنـى لكـم الرحمـة والجنـة يـا مـن فارقتمونا»

أشـعلت سـيجارة ونظرت إلى السـماء وسـألت الله هل يجوز لى ان أترحـم عـلى مـن فارقونـا الحياة وأنـا فى حالـة سُـكر ولم أصلِ منذ سـنوات ؟

مالسبب الذى وصل بى إلى هذا ؟!

***

كنت قد نسيت أمر أخى والأسئلة التى طالما طرحها على أنا وأبى في بعض الاوقات، ولكن منذ شهر وأكثر قد رأيت المرأة التى كانت تظهر لى عند شجر الموز وتثير فضولى دائماً وأنا صغير .. كنت قد انتهيت من عملى بالمطعم الذى أعمل به من سنة وذهبت إلى شراء طعام وشراب وأنا فى طريقى لمحل الخمور بعد أن انتهيت من شارع الألفى رأيت رجلاً يبيع كتباً، عبرت الطريق ولم أنظر إليه ..

نظرت إلى الكتب لأرى شيئاً أريده، فأنا كل ما أكترث به هو كتباً عن الحياة و الموت والطبيعة وعلم النفس وليست الروايات الوهمية.

ظللت أنظر إلى الكتب المُتربة لعدم قرب أحد منها منذ اسابيع وأشهر ..

كان الرجل ينظر لى ببلاهة ،يريد أن يقدم المساعدة، «أكره ما في البائعين أنهم يقفون على رأسك دون أن تطلب المساعدة ويعتقدون أنهم يحسنون صنعاً وأنهم بائعون ممتازون لايعلموا أنهم على قدر كبير من الجهل» لا يعطون أى فرصة للمشترى أن ينظر بتمعن ويأخذ وقته فى التفكير ويعتقدون انهم بأسلوبهم المصطنع هذا يجعلونك لديك الرغبة في الوقوف أكثر بعد أن شعرت بعدم الرغبة في الوقوف وعدم الشراء، ذهبت متجهاً لمحل

الخمـور وقفت خـارج المحـل أنظـر إلى شـيئاً جديـداً لأشربـه ..

فـكل الخمـور أصبحـت لهـا نفـس الطعـم ،هـل أصبحـت مدمــن كحــول أم أن الكحــول أصبــح لا يأثــر بجســدى النحيـل؟وفى هـذه اللحظـات كانـت تجلـس امـرأة عـلى الأرض بجـوار المحـل بجانبهـا أكيـاس مـن المناديـل وفي يدهـا كيـس بلاســتيكى شــفافاً واضعــة هــذا الكيــس عــلى فمهــا كان بداخلـه مـادة صفـراء لا أعلـم ماهـى ولمـاذا تفعـل ذلـك؟ كل مـا أكـترث بـه هـو الخمـر كان يقشـعر بدنـى عندمـا أرى هـذه المـرأة وهـل هـي مريضـة حقـاً أم أنهـا تصطنـع المـرض؟

خـرج لى بائـع المحـل كان يعرفنـى جيـداً، نظـر لي بإبتسـامة مزيفـة ثـم ألقـى التحيـة وقـال في مـزاح مصتنـع :

- ايه ياعم محتار ليه كده ؟!

- مش عارف والله بس بفكر أخد حاجة مختلفة النهاردة .

- طيـب بقولـك إيه سـيبك بقـى من النبيـت (الأبـاركا) اللى بتشربـه وجرب الويسـكى (**auld Stag**) .

- ده أحسن من ال (**red lebol**) ؟

- أه أحسن جرب وقولى

- طيب تمام .. بكام بقى دى يا حج ؟

- ما قولنا بلاش يا حج دي .

- هههههه معلش بنسى .

فى هـذه اللحظات شـعرت أن هناك شـخص ينظـر لى، نظرت بجانـب عينـى إلى يمينـى رأيـت المـرأة تنظـر لى بقوة لا أعلـم لماذا نظـرت إليها ثم إسـتعدت نظرى إلى الرجل مـرة أخرى وقلت له:

- بكام بقى دى ؟

- ٦٥ جنيه ياباشا .

- طيب خد مش معايا فكة معلش .

- ولا يهمك .

أعطيـت الرجـل ١٠٠ جنيـه ونظـرت مـرة أخـرى إلى المـرأة، كانـت ملامحهـا تغـيرت كثـيراً كنـت أراهـا دائـماً وأنـا ذاهـب إلى العمـل ولكـن لا أنظـر إلى وجههـا أبـداً ولا أرى شـخص يشـترى منهـا شـيئاً أو يعطيهـا مـالاً فهـى دائـما جالسـة واضعـة كيـس بلاسـتيك عـلى فمهـا يتجنبهـا المارييـن بالطرقـات فكانـت دائـماً تتقـئ فى ذلـك الكيـس ويقشـعر المارييـن منهـا دون أن يعطوهـا مـالاً .

أخـذت الباقـى مـن الرجل وأثناء شـكرى لـه كان وجـه المرأة فى ذاكرتـى تذكرتهـا وهـى تنظـر لى بنفـس النظـرة الحـادة .. ثـم

نظـرت إليهـا مـرة أخـرى لم أرى سـوى مكانهـا فارغـاً .. إلى أين رحلـت وكيـف رحلت بهـذه السرعـة ؟!!

نظــرت فى كل زاويــة فى أركان المــكان شــعرت أن هنــاك هــدوء يخنــق صــوت الشــوارع والســيارات ثــم شردت بنظـرى بعيــداً رأيتهــا تركــض مسرعــة وتعــبر الجهــة الأخــرى مــن الطريــق وكأنهــا شــابة فى العشرينــات وليســت إمــرأة مريضــة تجــاوزت الخمســينات كانــت سرعتهــا تجعلنــى أشــعر بالفضــول وأننــى لــن أتركهــا هــذه المــرة، إنتظـرت كثـيراً هــذه اللحظــة وفقــدت الأمــل وأنــا صغــير، كانــت تظهــر هــذه المــرأة كل ســنة ولم اجــرأ يومــاً عــلى الحديــث معهــا، ظلــت تظهــر لمــدة خمــس ســنوات ثــم أختفــت .

الآن لن أتركها «ماذا لو ما كنت تبحث عنه يبحث عنك؟»

***

ركضــتُ نحوهــا وأنــا أعــبر الطريــق ونظــرى لا يفارقهــا وأنــا اتأملهــا مــن بعــد وفجــأة جــاءت ســيارة سريعــة كانــت عــلى وشــك أن تفتــك بــى وتكــسر عظامــى وتجعــل جســدى مغمــوراً بالدمــاء، تفاديتهــا بصعوبــة وقفــزت لا أعلــم حتــى الآن كيــف حــدث ذلــك، ولكــن تفاجئــت بســيارة أخــى تنتظرنــى لتصدمنــى برفــق..

لا أسمع سوى صوت الزجاجة التى كنت أحملها وهى تتحطم .. سقطت أرضاً وأنا أحاول أن أنظر إلي تلك المرأة وإلى أين إتجهت ولكن سرعان ما وجدت حالى مُلقى أرضاً ووجهى منبسط على أسفلت المدينة، نظرت إلى باب السيارة التى صدمتنى ورأيت حذاء نسائى ذو كعب عالى يقفز خارج السيارة وأغلقت الباب بقوة ثم توقفت وهى تحدق بى، فتسائلت :

لماذا ترتدى مثل هذا الكعب العالى وأنتى لا تحتاجين إليه فأنتى تمتلكين من الطول ما يكفى ؟

لماذا يحب النساء إرتداء الكعب العالى ؟!

هل هذا يكسبهم الثقة بداخلهم أم يبرز أنوثتهم فى أعين الرجال ؟َ!

ولكن أنا كرجل أعترف أن المرأة التى ترتدى الكعب العالى هى ليست مجرد إمرأة بل فراشة لها أقدام .

وقفت أمامى وهى تنظر إلى قدمى بقوة لا أعلم من أين أتت بهذه الثقة ؟! ظننت أنها سوف تنهار من البكاء وترتعش خوفاً، ولكن يبدو أنها ليست امرأة عادية .

حركت قدمى فى هدوء لتتأكد من سلامتها، حينها شعرت أننى أمام رجل شرطة يقلب فى جثة ممدة على الطريق غارقة

في الدماء ولا يريد أن يتسخ، نظرت إلى الواقفين حولى وهم ينظرون ببلاهة لما حدث وكأنه عرض مسرحى فهتفت لهم قائلة وهى تعقد حاجبيها :

- أنتوا بتتفرجوا عليا !! ركبوه العربية بسرعة .

لا أعلم لماذا أصتدمت بها ولم أصتدم بسيارة أخرى هل هذا من ترتيب القدر وأن هذه المرأة ستكون صاحبة دور هام فى حياتى مثل الأفلام والروايات .

***

أنطلقت مسرعة بالسيارة ولم تسمح لأحد أن يصعد معنا ونظرت لى وقالت فى إستهزاء :

- أنت طلعتلى منين ؟!

- إنتى ضربانى بالعربية ومعورانى ومش عاجبك !!

نظرت لى فى تعاطف وقالت :

- أمسح دقنك دى طيب من التراب، وبعدين مش تبص وأنت بتعدى !!

- مانا كنت ببص على حد .

- بتبص على مين ؟

- لا دى قصة طويلة

- أنت رجلك وجعاك ؟

- آه، هو انتى رايحة على فين كده ؟

- مستشفى الهلال .. متخفش مش هخطفك .

- أخاف منك أنتى ؟!

نظرت لى فى دهشة وهي تحاول أن تفهم ما أُعنيه هل هى ثقة أم إستهزاء ؟، ثم قالت فى تعجب :

- ومتخفش منى ليه إن شاء الله ؟!

- شكلك ميخوفش .

إبتسمت فى هدوء ثم ساد الصمت .. كنا قد وصلنا إلى المستشفى وأخذت تبحث عن مكان لتضع به السيارة، كان عقلى شارداً وقلبى فارغاً يملئنى الفضول، وأحمل بقايا ذاكرتى فى يدى المتسخة أريد أن أحتفظ بذاكرتى وذكرياتى، ولم أنس تلك المرأة، لم ركضت هذه المرأة عندما رأتنى وهل هى تتذكرنى بعد أن تغير وجهى وجسدى وهل تدعى المرض لكسب المال أم أنها مريضة حقاً ؟!

***

إنتهبت لصوت ناعماً أنتزعنى من شرودى ولكنه كان قوياً يقول :

- أنت سرحان فإيه ؟!!

- مفيش حاجة .

- طيب يلا إنزل .. ولا أستنى هنزلك .

- لا أنا تمام

إنتزعت فى قوة الحذاء التى ترتديه ذو الكعب العالى التى يجعلها أطول بكثير من طولها الحقيقى، تعجبت كثيراً ماذا تفعل ؟

ظننت أنها سترتدى حذاء آخر ولكنها فاجئتنى بأنها قفزت خارج السيارة متجهة نحو الباب ونظرت لى :

- يلا أنزل أنا معاك أهو .

كانت السيارة أمام باب المستشفى ولكن هذا ليس مبرراً أبداً لما فعلت .. فتحت باب السيارة ثم مسكت بشعرها القصير الأسود وجمعته فى أستك صغير لا أعلم من أين أتت به !!

نظرت لها كساحر يظهر شيئاً خفياً من يده .. تحولت إلى رجل فى ثوان معدودة ،نظرت لى فى إستعداد وأخذت بيدى ووضعتها فوق كتفيها ..

ومسكت بجانبى كمصارع يريد أن يلقى بخصمه خارج الحلبة، نظرت لها متعجباً ومندهشاً ولكنها لم تهتم..

دخلنا من باب المستشفى وقد أستقبلنا رجل من رجال الأمن أظهرت له بطاقة لا أعلم ما هى وبعد أن أطلع عليها نظرت له وفى حدة وقالت وهى تأمره فى قوة رجل شرطة داخل قسم :

- عايزين كرسي بعجل بسرعة .

- حاضر يا فندم .

نظرت لها فى فضول يقتلنى وقلت :

- انتى بتشتغلى إيه ؟!

- أنا دكتورة، ممكن تقعد بقى .

- حاضر

ذهبت إلى عامل الاستقبال بعد أن أخذت بطاقة الرقم القومى ظللت أنظر إليها كيف تجتمع بها كل هذه الصفات كم أحب المرأة القوية الجريئة ولكن فى حدود، هل هى حزينة أم أنها سريعة الإنفعال؟ .. لا لا إنها حزينة « عليك إستيعاب أن الحزن لا يمسك وحدك «

اصطحبنـــى ممرضـــاً فى إتجـــاه غرفـــة الأشـــعة وتركتهـــا فى الإســـتقبال تنتهـــى مـــن الإجـــراءات ..

كان قـــد تســـللت الدمـــاء إلى الحـــذاء والألم يتصاعـــد كلـــما تحـرك مسرعـاً هـذا الرجـل بالكرسـى .. شـعرت بـألم قـوى فى أعصـاب القـدم اليسرى حتـى أننـى لم أسـتطع أن أضعهـا عـلى الأرض، كان الألم مسـتمراً وهـذا أسـوء مـا يمكـن أن تشـعر بـه فى حياتـك « فالأسـوء مـن الألم هـو إسـتمرار الألم».

***

إنتهينـــا مـــن عمـــل الأشـــعة بعـــد تنظيـــف الجـــرح ومســـح الدمـــاء جلســـت أمـــام الطبيـــب وأشـــعر برائحـــة المستشـــفى والكحـــول الطبـــى، كـــم أكـــره تلـــك الرائحـــة وأكـــره الدخـــول إلى هنـــاك .

نظر لى الطبيب وقال فى عدم إهتمام :

- مبدئيـاً هـو مـش كـسر، إحنـا هنعملـك جبـيرة وتـأكل حاجـات فيهـا كالسـيوم كتـير ومـع الأدويـة الدنيـا هتبقـى تمـام إن شـاء الله، وممنـوع الحركـة وارتـاح فالبيـت ٢٠ يـوم .

إنتـــزع الورقـــة بقـــوة بعـــد أن كتـــب بهـــا كل الأدويـــة التـــى أعلـــم أننـــى لـــن أتنـــاول منهـــا شـــيئاً، ثـــم ســـألنى فى فضـــول :

- انت فى حد معاك ؟

نظـرت لـه وفكـرت قليلاً هـل تلك الطبيبة سـتدفع لى رسـوم الكشـف والأشـعة ثـم ترحل أم سـتأتى مـرة أخرى ؟!

- لا مـش معايـا حـد .. أنـا هطلـع أخـد تاكسـى، حـد بـس يطلعنـى وأنـا هتـصرف .

وضـع الممـرض الأشـعة عـلى رجـلى وأنطلـق بـى مسرعـاً بعـد الإنتهـاء مـن الجبـيرة وكأنـه يريـد أن يتخلـص مـن جثـة ويلقـى بهـا فى البحـر .. كنـت أفكـر فى كيـف سـأقضى هـذه الفـترة ؟

هـل سـأجلس فى هـذه الغرفـة المظلمـة الكئيبـة؟، شـعرت وقتهـا بإحسـاس غريـب « أن المعانـاة وخيبـة الأمل سـنة كونية »

عنـد خروجـى مـن بـاب المستشـفى رأيـت سـيارة تلـك الطبيبـة بالخـارج نظـرت لهـا مبتسـماً شـعرت وكأننـى طفـل ينتظـر أمـه خـارج المدرسـة ويشـعر بالأمـان والحنـان، لا أعلـم مـن أيـن أتـى هـذا الشـعور؟! وهـى يبـدو عليهـا ملامـح القسـوة و القـوة دائـماً، وفجـأة سـمعت صوتهـا ينـادى :

- أحمد

- أنتى كنتى فين ؟!

- مالك تايه ليه كده ؟

- وبعدين انتي عرفتى أسمي منين ؟!

- من البطاقة ياعم .. أنت مسطول ولا إيه ؟

- اه ماشى .

- شكلك كنت شارب نص الإزازة اللي أتكسرت لما ضربتك بالعربية .

- هههههههه .. ولا فتحتها أصلاً .. كنت لسه شاريها .

- طب يلا عشان أوصلك .

كانت قد أرتدت الحذاء ذو الكعب العالى ولكنها تتعامل به كراقصة باليه محترفة فى مرونة .. صعدنا إلى السيارة وأنطلقت مسرعة بعد أن أعطت الممرض قدراً من المال لا أعلم ما هو ؟ وصلنا إلي شارع عماد الدين ثم وقفت بالسيارة بعد أن اخبرتها أنى أسكن فى هذه العمارة العتيقة الشامخة، نظرت لى وقالت فى دهشة :

- أنت ساكن هنا ؟!

- أه .. ليه ؟

- دى حلوة أوى .. يابختك

- مش أوى كده، أنا ساكن فى العشش اللى فوق خالص دى شيفاها ؟

- بجد .. أنا عايزة أطلع فوق وأقعد على التاندة دى .

نظرت لها فى تعجب « من أنتى ؟» من أين أتيتى بهذه الطفولة فجأة ؟! ومن هذه الشخصية غريبة الأطوار ؟! ومن أين أتت لتدخل عالمى البائس الكئيب عديم المنفعة؟! وهل هذه آخر مرة سأراها فيها أم سنكون أصدقاء ؟!

نظرت لها بعمق وتفكير، قاطعتنى بصوتها القوى قائلة :

- ايه .. أنت أفتكرتنى صايعة ولا إيه ؟

- لا خالص والله بفكر فحاجة بس

- طيب هتقعدنى هنا أمتى ؟

- أصل أنا عايش هنا وعمرى ما فكرت أعمل الجنان ده !!

- أنت بتخاف ولا إيه ؟!

- لا هخاف من إيه بس الغلطة ....

قاطعتنى ولم أكمل كلامى وقالت بإبتسامة :

- إيه هتموت ؟! ايه يعنى هو أحنا عايشين ليه أصلا ؟

شعرت أننى قرأتها جيداً عندما قُلت أنها حزينة وتدعى القوة ونظرت لها قائلاً فى حماس :

– ماشى أنا موافق بس لما أقدر أدوس على رجلى

– أكيد .. وأنا عزماك على أزازة بدل اللى أتكسرت

– أنتى بتشربي ؟!

– اه ساعات

– ماشى

يومها كنت أظن أنها ستأتى بعدها بيومين أو أسبوع ولكن مرمن الوقت أكثر من شهر ولكنها لم تأت انتظرتها كثيراً ربما سنلتقى فى « الدقيقة السبعين أو في اليوم الثامن من الأسبوع أو الشهر الثالث عشر من السنة « حين تحدثت معى أول أسبوع ثم أغلقت هاتفها بحجة سفرها فى بعثة للخارج، ثم قالت أنها ستعود بعد خمسة عشر يوماً فقط .

***

الآن أجلس وأدون كل ما يحدث وهل ستنتهى هذه الرواية ؟ وعلى أى شئ ستنتهى ؟ وهل سأموت قبل أن أنتهى منها ؟ أجلس على التاندة واضعاً بجانبى علبة

السجائر وزجاجة « **Auld Stag**» ودفتر كتاباتى بيدى، يضربنى الهواء من كل إتجاه، كم أحببت الجلوس هنا أرى كل شئ من بعيد لا أحد يرانى وهكذا أحب أن أرى الأشخاص، وضعت الهاتف على النافذة التى تعلو رأسى أستمع إلى قصيدة ثم يتعالى صوت الشاعر « هشام الجخ « بكلماته العظيمة قائلاً :

- الآن أكتب ما تشاء
- كن شاعراً .. كن كاتباً .. كن ماجناً .. كن ما تشاء
- الآن أنت مهيأ كى تصعد الزفرات منك إلى السماء

فالزفرة هى تنفس حار به أهات وحرارة، نظرت إلى السماء وصرخت بقوة ثم ضربت بقبضة يدى فى الحائط بجوارى بغضب شديد، اهتز الهاتف من على حافة النافذة ثم سقط فوق كتفى، ألتقطه بصعوبة كادت أن تسقطنى فى الهواء فأمسكت فى ماسورة الغاز التى كانت بجوارى وسقط القلم من يدى نظرت له وهو فى الهواء كنت أشعر أن القلم ينظر إلى ويودعنى بحزن وكأنه صديقى وسيفارق الحياة ،كنت فى السابق قد تعودت على « أن الحياة فى حقيقتها هى عبارة عن أسى وفقدان»

***

مـرت سـاعات وأنـا أجلـس دون أن أكتـب كلمـة واحـدة نظـرت إلى سـاعتى الرقميـة القريبـة إلى قلبى فكانـت « ١١ : ١١ » مسـاءاً، كان يظهـر لى هـذا الرقـم عنـد التفكـير فى أخـى وأمـى لا أعلـم ماتفسـير ذلـك؟، ولكـن يومـاً مـا قـال لى صديـق : أنهـا علامـة إلهيـة وأن الله يذكـرك دائـماً بـه مـن خـلال هـذه الإشـارة لهـذا الرقـم، اقتنعـت بذلـك رغـم أننـى لا أعلـم مـن أيـن أتـى بهـذه المعلومـة ولكـن الآن أًصبـح لـدى الفضـول أن أتعمـق فى هـذا المعنـى هـل هـو دلالـة عـلى شـئ مـا ؟! قبـل أن أنتهـى مـن التفكـير سـمعت صـوت يخـرج مـن النافـذة ولكـن صـوت السـيارات والشـارع كان أعـلى أخـذت دفـتر أوراقـى وقفـزت مسرعـاً داخـل الغرفـة تـاركاً خلفـى علبـة السـجائر

وزجاجـة الخمـر، فقاطعنـى صـوت شـجار بـين « عـم فتحـى » البـواب وصـوت إمـرأة وصـوت طـرق عـلى بـاب غرفتـى، وضعـت أوراقـى وأقتربـت مـن البـاب ثـم فتحتـه مسرعـاً وقلـت فى لهفـة :

- ايه الدوشة دي ياعم فتحى فى إيه ؟!

- مفيش يا أستاذ أحمد الست دى ...

كانـت تقـف بجـواره خلـف الغرفة هـذه الفتـاة الطبيبـة التى أنتظـرت رؤياهـا طويـلاً قاطعتـه قائلـة فى حدة :

- أنت تسكت خالص .

نظرت لها مبتسماً وقلت لها فى إعتذار :

- معلـش أنـا أسـف لـلي حصـل .. أصـل ممنـوع حـد غريب يطلــع هنا

- ليه يعنى هو أنا شكلى حرامية ولا منحلة .

- ههههه يا ستى لا أهدى بس وأنا هفهمك .

نظرت لعم فتحى وقلت له فى أدب :

- معلـش ياعـم فتحـى دى الدكتـورة الـلي بتعالجنـى وجيـة تطمـن عليـا سـيبنا شـوية وأنـزل أنـت .

- ماشى يا أستاذ أحمد .

نظرت لى وهى تقول فى فضول :

- هو أحنا هنقعد هنا ؟

- لا تعالى نقعد برة فى الهوا

- طيب

ذهبــت لإحضــار كراســى وعــدت فلــم أجدهــا نظــرت حــولى لم أر أحــد سـمعت « **welson** » ينبـح ولكنـه صمـت بعـد ثوانــى، فظننــت أنهــا ذهبــت إليــه ،رأيتهــا تضــع يدهــا عليــه ولم

تخـف والمدهـش أن « **welson**» إسـتجاب لهـا ،نظـرت لهـا فى دهشـة وإعجـاب وقلـت لنفسـى مـن هـذه الفتـاة السـاحرة التـى لم يسـلم مـن سـحرها أحـداً؟ ،نظـرت لهـا مبتسـماً وقلت :

– انتى مبتخافيش من الكلاب .

– لا ابداً .. إيه بقى هتفضل تبصلى كده كتير ؟

– مـش كان نفسـك تقعـدى عـلى التانـدة بتاعـة العـمارة أهى فرصتـك جـت .

– بجد !!، موافقة طبعا

– مـن اليـوم الـلي سـيبتك فيـه والموضـوع فى دماغى أسـتنيت لحـد مـا فكيت الجبـيرة وبقـالى أسـبوع بعمـل كده .

– طب يلا بينا، بص المفاجأة دى

– **ID** ؟!

– آه حبيت أشربها معاك النهاردة

– فكرتينـي ده أنـا سـايب السـجاير والأزازة بـرة مـكان مـا كنـت قاعـد .

ذهبـت مسرعـاً إلى داخـل الغرفـة وهـى تسـير خلفـى نظـرت إلى خـارج النافـذة رأيـت السـجائر والزجاجـة يرقـدان

فى ســلام، إطمئــن قلبــى فــكان خــوفى أن تســقط عــلى رأس أحــد فتقتلــه، نظــرت إليهــا وقلــت فى حمــاس :

– مستعدة ؟

– جداً

مســكت بيــدى فخفــق قلبــى بشــدة، كان ملمــس يدهــا كجرعــة مخــدر تركــض داخــل دمائــى، لأول مــرة منــذ زمــن أشــعر بالخــوف يتســلل إلى قلبى ودار بذهنى ســؤال لم أحسســت بالخــوف الآن فقــط هــل لأننــى وجــدت للحيــاة طعــماً وأشــعر بالمســئولية تجــاه شــخص آخــر ولســت وحيــداً كعادتــى ؟!

مســكت يــدى بقــوة وصعــدت فــوق الكرســى ثــم جلســت نصــف جلســة عــلى النافــذة، نظــرت لى فى قلــق حينــما شــعرت بــبرودة الهــواء وأنهــا مــن الممكــن أن تســقط فى لحظــات، نظــرت لهــا محــاولاً طمئنتهــا وقلــت :

– بــصى أنــا هفضــل ماســك إيديكــى لحــد مــا تنــزلى، وأول مــا تنــزلى أمســكى فى ماســورة الغــاز دى شــيفاها ؟

– اه متقلقش بس متسبش إيدى غير لما أنزل .

قفــزت خــارج النافــذة بقــوة رجــل إطفــاء مــدرب عــلى الوقــوف عــلى حافــة المبانــى ثــم نظــرت لى وطلبــت أن أتــرك

يدهـا، وقفـت فـوق الكرسـى ونظـرت لهـا هـل هـذا صحيـح أن أعتمـد عليهـا، وهـى تمسـكت بالماسـورة وقفـزت خلفهـا جالسـاً بجانبهـا ورفعـت يـدى إلى النافـذة وجلبـت الزجاجـة التـى وضعتهـا كعادتـى وهنـا دخلـت هـى إلى عالمـى الخـاص .

نظرت لى فى سعادة بعد أن اشعلت سيجارة وقالت :

– أنا أول مرة أعمل حاجة خطيرة زي دى

– أيوة بس أنتى صاحبة الفكرة

– ماشى بس أنا بتمنى حاجات كتير لكن عمرى ما نفذتها

– بس أنتى شكلك قوية وبتعرفى تاخدى القرار وتنفذيه

وضعـت السـيجارة فى فمهـا ومسـكت بشـعرها الأسـود القصـير المتطاير وجمعتـه فى « أسـتيك « ولكن هـذه المرة لاحظت مـن أيـن تأتـى به كانـت تضعـه فى يدها ك « أسـورة « ثـم أخذت الزجاجـة مـن يـدى بقـوة وفتحتهـا وقالـت :

– فصحتك

لاحظـت أنهـا لا تريـد التحـدث عـن شـخصيتها .. نظـرت لهـا وأمسـكت زجاجتـى وقمـت بقـرع الزجاجتـين ببعضهـما، نظـرت لى وهـى تضحـك وتقـول :

– طيب أنت عارف ليه الأجانب لما بيسكروا بيخبطوا الأزازتين فى بعض ؟

– ليه ؟!

– قولى أنت إجابة الأول

– ممكن مثلا بيتبادلوا التحية مع بعض ؟

– ممكن بس برضوا إشمعنا بيخبطوها فبعض ؟

– أنا شوفت مرة في فيلم أن عشان يطمنوا لبعض يخبطوا الكؤوس فى بعض فيقع شوية من الكأس بتاعه فى كأس الراجل التانى فيتأكد أن المشروب مفيهوش سم .

– حلوة بردو الإجابة دى بس مش هى .

– امال إيه ؟!

نظرت لى محاولة شرح وجهة نظرها العلمية وقالت :

– أنت عندك كام حاسة فجسمك ؟

– خمس حواس

– تمام هي المفروض ١١ بس ملكش دعوة بالموضوع ده

– أه خلينا ننسى الطب شوية أرجوكى

– هههههه كل حاجة ليها تفسير علمى عندى

– طيب كويس هتنفعينى

– هنفعك ف إيه ؟!

– كملى بس

– ماشى .. بص الإنسان إتخلق بأكتر من حاسة عشان متعته بالأشياء تكون أكبر لما يعمل حاجة تحسها كل حواسه فيوصل للنشوة أو المتعة الكاملة .

– إزاى ؟!

– هقولك مثال زى العلاقة بين الراجل والست اللي هى غريزة بنستمتع بيها زي الأكل والشرب بتبدأ بأن عينك تشوفها فتستمتع بمنظرها المثيروتلمسها فتستمتع بملمسها الناعم وتقرب منها فتشم ريحتها فتحس بوجودها وتستمتع بصوتها الرقيق فى ودنك فتشعر بأنوثتها وبعدين تبوسها فتوصل لمتعة التذوق وهنا بتكون المتعة الكاملة عشان استخدمت كل حواسك .

ثم أكملت وأنا اتأمل كلماتها :

– شرب الخمرة كدا بردو بتشوف الكأس بعينيك وبعدين بتشعر بملمسه وتشم ريحة الكحول لما تقربه منك وبعدين

تشربه فتتذوقه فى اللحظة دى بيكون فاضل بس هو أنك تسمع له صوت يكملك الحاسة الناقصة عندك .

نظرت لها متسائلاً ذاتى ،من أين تأتين بكل هذه الجرأة، هل مهنة الطب سبباً فى ذلك ؟!

ابتسمت ونظرت إلى زجاجتى مشيرة إلى قرع الزجاجتين ببعضهما قائلة بصوت عالى :

– Cheers

– Cheers

شعرت وكأننى لأول مرة أتذوق طعم الخمر كان جسدى يرتعش فى نشوة حقيقية لا أعلم لماذا ؟! هل بسبب برودة الهواء أم لأنها أقنعتنى بطريقتها الساحرة ؟

نظرت لى نظرة حادة وقالت :

– نتكلم جد بقى شوية .. إحكيلى عن حياتك

– حياتى ؟!

– أه وإيه الحاجة اللى قولتلى هتنفعينى فيها ؟!

أكملت جملتها وسؤالها فشعرت بنشوة تغمرنى وأن هناك من يهتم لأمرى، نهضت فى حرص ونظرت إلي السماء وهى تمسك بيدى وقلت فى قوة :

– أنا بكتب عن الموت

– طيب أُقعد أنت سكران

– ممكن لو مت تكملى الرواية توعدينى ؟

– حاضر .. بس هى فين الرواية دى

نهضت مرة أخرى في عدم حرص أو خوف بحماس شديد ثم قفزت داخل نافذة الغرفة متجهاً نحو الورق، ثم نظرت إليها وترددت قليلاً لم كل هذا الحماس ؟! هل هى بالقرب الذى يجعلنى أكشف لها عن سر من أسرارى ؟!

لم أفكر كثيراً فى ذلك، ألتقطت الورق وقفزت مرة أخرى بالخارج مسكت بيدى وجلست ثم أعطيتها الورق، فأخذت تقرأ بتركيز شديد فى صمت وتنظر لى بعد كل ورقة تقرأها دون أن تسأل عن شئ، كان قد مر من الوقت ما يقرب من ساعة وأنا أشعل سيجارة تلو الأخرى ثم قاطع صوتها تفكيرى وهى تسأل فى تعجب :

– أنت كاتب نفسك .. هى دى قصة حياتك ؟

– أه

– طيب ومين الست دى وليها علاقة بموت أخوك ولا إيه ؟!

- مـش عـارف .. بـس كل الـلي أنـا أعرفـه ومتأكـد منـه أن هـى عندهـا حاجـة مخبياهـا ولازم أشـوفها تانـى .

كانـت قـد أنتهـت مـن قـراءة الصفحـة (٥٠) وشـعرت أن هنـاك رابـط مـا بـين مـوت أخـى ومـوت الأشـخاص بحياتـى وبـين كتابتـى عـن المـوت، نظـرت لى موجهـة قذيفـة مدويـة فى وجهـى لم أتوقـع أنهـا ستسـأل عـن أمـى ولمـاذا تسـأل عنهـا ؟ هـل شـعرت أننـى يتيـم أم تسـأل عـن مصيرهـا بعـد فقـدان طفلهـا الصغـير؟!

قالت فى حنان وكأنها تشعر باليتم :

- طيب وماما فين دلوقتي ؟

لم أنظـر إليهـا وأخـذت أفكـر فى أيامهـا الأخـيرة وأفكـر، وفي يـوم كنـت اتجـه إلى غرفتـى سـمعت صوتهـا وهـي تتحـدث مـع شـخص في دورة الميـاه وكان النقـاش من طرف واحـد ،هى فقط مـن تتحـدث لا أحـد يـرد عـلي كلامها ،

كانـت لحظـة بطيئـة فى عقلي شـعرت بخوف مـن أن أرى هذا المنظـر كنـت أسـير ببـطء شـديد ووصلـت إلى بـاب دورة الميـاه لأجـد أمـى جالسـة عـلى الأرض وتتحـدث مـع شـىء لا أراه كانـت تنظـر إلى شـخص قصـير القامـة وهـي تبتسـم نظـرت إلى يداهـا التـى كانـت تتحـرك نحـو هـذا الشـخص الوهمـى ..

وكانـت ترتـب لـه ملابسـه ،كان جسـدى ينتفـض مـن هـذا المنظـر كنـت صغـير عـلى أن اسـتوعب ما يحـدث ماذا تفعـل أمى و مـع مـن تتحـدث و هل تـرى شـيئاً حقـاً ام أنها أُصيبت بشـىء فى عقلهـا ؟! ولم استسـلمت لحزنهـا على أخى إلى هـذه الدرجة ؟! كنـت كل مـا أشـعر به يومهـا أنني أريـد ان أهـرب إلى غرفتي فأنا لا أتحمـل أن تنظـر لى وهـي فى هـذه الحالة ..

كنـت أسـير متجهـاً إلى غرفتـى ومازلت أسـمع صوتهـا.. لماذا حـدث كل هـذا ؟! أخذت أفكـر لم أمات الله أخـى في وقت مبكر كهـذا ؟! هـل بسـبب أسـئلته الكثـيرة و الكبيرة عـن الله ووجوده ؟! فأماتـه الله حتـى لا ينـشر الإلحـاد؟ كنت أصغر مـن أن أتحمل أن أخـى يمـوت وأمـى تفقد شـىء مـن عقلها « فـالآن أصبحت أنـا وأخـى جثة واحـدة أنا هنـا عـلى الأرض وهو في السـماء « .

وعندمـا أتـى الطبيـب لهـا كان كل مـا يفعلـه هـو إعطائهـا المخـدر والمهدئـات التـى تجعلهـا طول الوقـت فى فراشـها الدافئ وعنـد مغادرتـه تصبـح فى عـالم أخـر لا تـرى أحـداً منـا ..

جلس الطبيب مع أبى وقال له بصوت مبحوح :

- ربما الحياة ليست للجميع

وبعـد عـام كامـل من العـلاج النفسـى يـرى الطبيـب أن أمى أفقـدت حياتهـا بنفسـها وأنهـا ليسـت عـلى قيـد الحيـاة ثـم أنهـى

هـذه الجملـة مكمـلاً ومفـسراً مـا يقـول وأن هـذه هـى مرحلـة متأخـرة مـن الأمـراض النفسـية ويطلـق عليهـا مصطلـح « كتاتونيـا »، نظـر لـه أبـى فى عـدم فهـم متسـائلاً :

– يعنى إيه يا دكتور ؟!

– قبل ما أقولك يعنى إيه لازم أشرحلك حاجة كده

– أتفضل

– الأمـراض النفسـية ليها أشـكال وأنـواع كتير جـداً، لدرجة أن أسـاميها بتتغـير كل شـوية لكـن مـن وجهـة نظـر الطـب النفسـى أن الأمـراض النفسـية هـى فى الحقيقـة رجـوع للخلـف بمعنـى أن أي شـخص أمـام الصدمـات الشـديدة الـلي ممكـن يمـر بيهـا يقـرر عقلـه فى بعـض الأوقـات أنـه يرجـع إلى أخـر مرحلـة عمريـة كان حاسـس فيهـا بالأمـان والإتـزان النفسـى ..

عـادة المرحلـة دى بتكـون مرحلـة الطفولـة وكل مـا يتراجـع أكـتر يرتـاح أكثـر، تصـور بقـى لـو المريـض كل مـا يرجـع بعقلـه كام سـنة لـورا يلاقـى المرحلـة الـلي رجعلهـا مرتبطـة كـمان بـألم نفسـى تانـى وعـذاب ..

سـاعتها بيضطـر يعمل حاجـة صعبة جـداً وهى أنـه هيفضل يرجـع لحـد مـا يوصـل للمرحلـة النفسـية الـلي كان فيهـا وهـو عنـده كام شـهر لما كان بيتخيـل ويهلوس بحاجـات مش موجودة

بيسلى بيها نفسه فى غياب أمه فى علم النفس لما المريض بيوصل للمرحلة دي بيطلق عليها « نكوص « أو رجوع للخلف وده بيؤدى إلى « الفصام « اللي هو يعتبر جنون وهو من أقوى الأمراض النفسية ولكن مش أصعبها

الأصعب من ده فعلاً أن المريض يرجع لورا أكتر فى المرحلة اللى كان حاسس فيها بالأمان اللى هو مش لاقيه دلوقتى وساعتها هيقرر بشكل غير واعى أنه يرجع للرحم « لحياة وضع وسلوك الجنين « .

قاطعه أبى قائلاً :

– هى فعلا ساعات كتير بتنام فى وضعية شبه وضع الجنين بس كنت بقول يمكن بردانة .

تجاهل الطبيب كلام أبى مكملاً :

– المهم تصور بقى لو حد حصله صدمة نفسية بأي شكل من اللى وصفناهم وكل ما عقله يحاول يرجع لأخر مرحلة عمرية حس فيها بالأمان مايلاقيش ولا حتى فى مرحلة الجنين .

عارف هيعمل إيه ؟

وإيه ساعتها القرار اللى عقله هياخده بشكل غير واعى وينفذه بمنتهى الصعوبة القسوة على ذاته؟ أنه ينفصل عن

العـالم يخاصـم الحيـاة ويقفـل كل الأبواب الـلى تخليه عـلى إتصال بالعــالم الخارجى

قاطعه أبى فى قلق :

– يعنى ممكن تنتحر ؟

– لا فى حالتهـا مبيكونـش إنتحـار هـو أصعـب مـن كـده .. بتقـرر بعـدم وعـى إنهـا تعيـش زي الجـماد بـدون الرغبـة فى أكل أو شرب أو كلام وممكــن تتشـال مـن مكانهـا تتحـط فى مـكان تانـى مـن غـير مـا تشـعر بكـده لانهـا مـش بتتحكـم فى أعصـاب ولا عضـلات جسـمها لـو سـبتها واقفـة هتفضـل واقفـة بإختصـار كـده أنـت قـدام شـخص قـرر « يفـارق الحيـاة وهـو عايـش» وهـى دى « الكتاتونيـا» والمصطلـح أصلـه لاتينى معنـاه «الجثـة»، ودى للأسـف المرحلـة الـلى المريـض بيوصـل فيهـا لكامـل الأمـان .

كان قـد ظهـر عـلى أبـى ملامـح القلـق والتوتـر وترغرغـت عينـاه بالدمـوع ونظـر إلى الطبيـب بقلـة حيلـة وعجـز قائـلاً :

– يعنى مفيش أمل نلحقها يا دكتور؟؟ أرجوك إنقذها .

***

مـرت دقائـق عـلى سـؤالها لى وشـعرت أنهـا لمسـت جـرح فى قلبـى، فقمـت بتجاهـل سـؤالها ونظـرت فى الـورق متحدثـة عـن أحـداث الروايـة وكان صوتهـا هادئـاً حتـى أننـى لم أسـمع منـه شـئ ثـم قالـت بصـوت قـوى فى مـزاح أحببتـه كثـيراً :

- أنت هتعمل أطرش ؟

إبتسـمت إبتسـامة هادئـة ودموعـى فى عينـى تقف عـلى حافة رموشـى السـفلى تنتظـر موعـد فيضانهـا حتـى تقفـز ولكـن فى الغالـب تتراجـع ..

نظرت بعيداً فى تفكير عميق ثم قلت فى قوة :

- لا عادى أفتكرت أمى بس

- أنا كمان أمى ماتت

قالتها وهى تستند على الحائط فى قفزة سريعة ثم أكملت :

- أنا همشى بقى عشان اتأخرت .

- مقولتليش .. إنتى أسمك إيه صحيح ؟!

- ريحانة .

- هو لسة فى حد أسمه ريحانة .

- أه فيه أنا .. سلام

- سلام

من النادر إيجاد السلام الداخلى ومن الصعب العيش مع من تحب فى هدوء دون الإلتزام بالعادات والتقاليد والأعراف ولكنها الحياة، فما أتمناه لا يتناسب مع كل هذا ..

وأرى أننا نحيا فى شقاء حتى يتثنى لنا الإستمتاع بالحياة الأبدية بالجنة دون الإلتزام بأى قواعد مع كل ما نحب من أشخاص وأحداث .

***

صباح اليوم التالى أستيقظت فى عجالة ركضت مسرعاً وقفزت داخل ملابسى متجهاً نحو عملى المزعج كل ما كان يهون عليا إزعاجه هو صديقى « محسن » فهو شخص عملاق بدين فى الثلاثين من عمره وطول قامته يخفى بدانته ولكنه مميز بالنسبة لى فى هدوئه وصدق مشاعره وإبتسامته التى طالما أحببتها ..

وكما سائر البشر نملك بداخلنا هذا القديس والفاجر فهو يتعاطى المخدرات فى كل ليلة تحت شعار « من يمتلك المخدرات فهو يمتلك العالم بأكمله »، فهو يرى أن الهروب أفضل بكثير من أن تواجه الحقيقة وتتعامل مع ألم الواقع .

كنـت قـد تأخـرت عـلى موعـد عمـلى، دخلـت إلى المطعـم بوجـه شـاحب مرهـق شـعيرات ،ملابسـى غـير مهندمة،شـعر رأسـى غـير منظـم كعادتـه منـذ سـنوات.

نظـرت داخـل المطعم لأرى المديـر فلم أجـده فذهبت مسرعاً إلى داخـل المطبخ أسـتقبلنى « محسـن « فى حمـاس ووجهه يتصبب عرقاً من شـدة حـرارة المطبـخ وقال بصـوت هادئ :

- إيه يا عم اتأخرت كده ليه ؟

- معلش كنت سهران إمبارح

- طيب غير هدومك ويلا بسرعة قبل المدير ما يجى

- طيب

- بقولك ايه صحيح أنا جايبلك مفاجأة النهاردة

- مفاجأة إيه ؟!

- حاجة هتوصلك للى بتدور عليه

- حاجة إيه دى ؟َ!

- مش انت نفسك تشوف اللى بعد الموت إيه

- آه .. ليه هتموتنى ولا ايه ؟!

- ههههه لا حاجة زي كده

شردت قليلاً لا أستمع إلا لصوت بداخلى يتسائل لماذا فى ليلة أمس كنت أشعر أن الحياة قد أبتسمت لى بوجودها معى ؟

ولكنى سرعان ما تذكرت أن الحياة لا تدوم على حال ولا شئ يبقى إلى النهاية .. كان هناك قلق فى قلبى لا أعلم مصدره؟!

مر الوقت سريعاً مع ضغط عمل هذا اليوم وأصبحت الساعة الخامسة مساءاً وأنتهى موعد العمل فدخلت غرفة تغيير الملابس وأشعلت سيجارة وجلست أفكر فيما يحدث لى هذه الأيام، دخل «محسن» غرفة الملابس فى قوة قاطعاً حبل أفكارى قائلاً :

- مش تقولى أنك هتشرب سيجارة .

- مانا مش لاقيك كنت فين ؟

- كنت بحضرلك المفاجأة اللى قولتلك عليها .

- ياترى إيه انا بقلق من مفاجأتك

- ههههههه «إستروكس» .

- نعم ؟!

كنت أعلم عن هذا المخدر ولكنى لم أجربه من قبل فأنا أكتفى بشرب الخمور فقط و « الحشيش « فى بعض

الأوقـات، نظـرت إلى «محسـن» وأنـا أفكـر إلى أي مـدى يمكـن أن يصـل بـى هـذا المخـدر هـل إلى مـا أريـده حقـاً ؟! ..

نظـر لى «محسـن» نظـرة شـيطانية وقـال لى فى حمـاس محـاولاً إقناعـى :

– بقولـك إيـه .. إمبـارح كنـت قاعـد مـع صحابـى وكان فى واحـد قاعـد معانـا شرب نفسـين بالظبـط وقعـد يعمـل حاجات غريبـة وكان بيقـول أنـه شـاف الملايكـة وأتحاسـب .

– إيه اللي أنت بتقوله ده ؟!

– والله زي مـا بقولـك فخدت منـه السـيجارتين دول نجربهم مـع بعض .

كنـت فى حالـة لا تسـتدعى النقـاش أو التفكـير كل مـا أريـده أن أذهـب إلى بيتـى لكـى أرتـاح بعـد يـوم عمـل شـاق فلـم أنـم هـذه الليلـة جيـداً، فزيـارة تلـك الفتـاة أشـعلت مـا بداخـلى مـن ذكريـات أليمـة ولكـن فى نفـس الوقـت شـعرت بإرتيـاح لوجودهـا بجانبـى .

نظرت إلى « محسن» بعدم مبالاة قائلاً :

– خلاص نشوف الموضوع ده بالليل لما نتقابل .

- طيـب أنـا هقـول لمحمـود وشـهيرة أن أحنـا هنقعـد معاهـم النهـاردة

- ماشى بس خليها على ١٠ كده عشان الحق انام شوية .

- تنام ... يبقى شكلى هاجى أهد عليك البيت زي كل مرة

- هههههههه .. لا متقلقش .

***

جالسـاً عـلى الرصيـف أمـام البوابـة العريقـة بوابـة العـمارة التـى أسـكن بهـا منـذ زمـن، منتظـراً « محسـن» كعادتـى الجـو هـادئ لا أحـد فى الشـوارع كأفـلام السـتينيات المحـلات مغلقـة والسـيارات نـادرة، أشـعلت سـيجارة ووضعـت سـماعات الأذن فى أذنـى وأمسـكت الهاتـف، فتحـت « **Sound Cloud**» وكتبـت فى «**Serch**» صـوت الطبيعـة بـدون موسـيقى ..

كنـت أحـب دائـماً أن أسـمع هـذه الأصـوات فتنقـل كل حواسـى إلى كل ذكريـات الطفولـة وصـوت العصافـير وصـوت الميـاه تنقلنـى إلى عـالم الصيـد مـع أبـى وأخـى ..

مـرت مـن الموسـيقى مـا يقـرب مـن دقيقـة، ثـم رأيـت المرأة ذات الـرداء الأسـود تعـبر مـن خلفـى وفى أثنـاء عبورهـا خلفـى لا أعلـم لم ألتفـت إلى الخلـف رأيتهـا تعبـث بداخـل شـنطة لا

أعلـم مـا بهـا أنتفضـت مـن مكانـى ووقفـت أمامهـا فنظـرت لى بدهشـة وأنـا أقـف متخشـباً لا أعلـم مـا الـذى سـيتم هـل سـتهرب مـرة أخـرى أم سـننطلق فى نقـاش لا أعلـم هـل سـيريحنى أم سـيرهقنى ؟

كانـت مازالـت سـماعات الأذن فى أذنـى شـعرت أننـا نقـف بجـوار شـجر المـوز مـرة أخـرى ولكـن كانـت هـذه المـرة هـى التـى ترتجـف أمامـى ،كان الرعـب فى عينيهـا أعلـم طـوال هـذه السـنوات أن لديهـا شـئ مبهـم تخفيـه تحتفـظ بـه ولا تبوحـه، أنتزعـت السـماعات مـن أذنـى وقلـت لهـا بغضـب :

- بتهربى منى ليه ؟!

- أنا مقتلتش أمك مقتلتهاش .

قالـت هـذه الكلـمات ثـم ركضـت مسرعـةً داخـل بوابـة العـمارة ولكـن إحسـاس داخـلى كان سيشـعلنى نـاراً إن تركتهـا تهـرب هـذه المـرة .. ركضـت مسرعـاً خلفهـا امسـكت بحجابها وشـعرها المتقصـف شـعرت أنـه تقطـع بيـدى ثـم صرخـت فى ألم وقالـت :

- حرام عليك أنا ست كبيرة.

- إنتى مالك ومال أمى أنا مش فاهم حاجة ؟!

- أنا اللى قتلت امك وهقتلك أنت كمان .

أدخلت يدها داخل الحقيبة ثم أخرجت قطعة حديدية حادة وتريد أن تضعها فى رقبتى مسكت يدها بكل سهولة ودفعتها فى صدرها لم تتزن رجعت خطوتين الى الخلف ثم اختل توازنها سقطت ارضاً وارتطمت رأسها بالارض ..

لم تمر ثوانى على سقوطها ورأيت الدماء تسيل من مؤخرة رأسها بالارض، ودارت عاصفة برأسى، ما بين مساعدتها أو الركوض مسرعاً قبل ان يرانى أحداً ..

ما هذا !؟

هل أصبحت قاتلاً ؟!!! .. ولكننى لم اقصد قتلها .

هل سيتفهم القانون والشرطة هذا؟ لا لا لن يتفهموا ..

ركضت مسرعا بإتجاه السلالم ،سمعت صوت عم فتحى البواب وهو يقول فى دهشة وترقب و يركض نحوى :

- فى إيه يا أستاذ احمد ؟!

لم ألتفت له، وصعدت مسرعاً على السلالم وكان قلبى يخفق بشدة دخلت غرفتى ودخل خلفى **welson** من أين أتى وكيف أتى ومن فك قيده؟ لا اعلم !!!

ما هذا اليوم ولماذا حدث ذلك فى اقل من دقائق ؟!

جلست على الأريكة ومسكت بالهاتف نظرت به .. بمن سأتصل الآن؟ نظرت إلى الساعة فوجدتها ١٠:١١ تعجبت ولكن كانت الشرطة أسرع من أى زمن أو وقت على الإطلاق، على غير عادتها .

صوت طرق على الباب أشعرنى أن باب الغرفة سينهار قريباً جداً وكان **welson** فى إستعداد أن ينقض على من سيقتحم غرفتنا الصغيرة .

***

استيقظت فى فزع لم أفهم ما أنا عليه الآن هل ذلك كان حلماً ؟!

مازال الطرق على باب الغرفة مستمر هل أنا فقدت الوعى ام هذا كله كان كابوس ؟!!

أخذت لحظات حتى استوعب ما يحدث ولكن صوت طرق الباب كان مزعجاً قفزت وجلست على السرير ونظرت إلى ساعتى وكانت «١١ : ١١» مساءاً نظرت لها طويلا غير مصدقاً أن هذا الرقم يلازمنى حتى فى نومى ..

ماذا يحدث ؟!

كان صـوت الطـرق عـلى بـاب الغرفـة مزعجـاً جـداً ولكننى لا أبـالى ثـم أسـتوعبت ذلـك متأخـراً وقلـت فى إرهاق شـديد :

– أيوة مين ؟!

– ياعم افتح أنت مت ولا ايه !؟

فتحت الباب ناظراً له فى غضب وقلت بإستياء شديد :

– فى حد يصحى حد كده ؟ .. أدخل .

– يعنـى هـو أنـت صحيـت عـلى طـول ده أنـا بقـالى سـاعة واقـف.

– سـاعة بـترزع كـده ؟! أنـت مـش شـايف إيـدك عاملـة ازاى ؟!

– ههههـه طيـب يلا ألبـس وانا مسـتنيك تحت أنـا و **welson** .

– ماشى

نظـرت إلى السـاعة مـرة أخـرى ثـم مسـكت بالهاتـف ودخلـت موقـع « **google**» وكتبـت فى سرعـة « مـا سر ظهـور ١١:١١ ثـم ضغطـت عـلى علامـة **search** ظهـر لى مسـميات كثـيرة كانـت أولهـم :

التزامــن وتكــرار رؤيــة السلاســل الرقميــة ١١:١١ ضغــط عليهــا ثــم قــرأت فى تأمــل :

التزامن ..

أطلــق يونــغ إســم « التزامــن « عــلى مانســميه بالصدفــة او الحــدث العــارض الــذى يتــم نتيجــة تقاطع سلســلتين مســتقلتين مــن المجريــات فالتزامــن ليــس توافقــاً مجــرداً ..

يعطــى حــدوث التزامنــات إحساســاً بــأن هنــاك يــدا خفيــة تتمتــع بــذكاء عــالى وقــدرة عظيمــة تقــف وراء إنتهــاك منطقنــا العقلانــى لتفســير وترتيــب الحــوادث اليوميــة ويخلــق انقطاعــا «ليفتــح ثغــرة كــى يدلــف منهــا مــا هــو خــارق ومعجــز « .. وفــق يونــغ

– مين يونغ ه ؟!

قلتهــا فى غضــب أشــعر أن الوقــت يسرقنــى دون إفــادة، ثــم أكملــت متأمــلاً الهاتــف فى حمــاس ..

كــما أعتــبر البيولوجــى النمســاوي «بــول كامــيرر» أن الحــوادث المتشــابهة التــى تتكــرر تخضــع لقانــون مــادى طبيعــى يســمى «قانــون السلســلة» .

قد نفذ صبرى ....

أخـذت أعـبر السـطور كطفـل يقفـز عـلى السـلالم ويصعد فى سرعـة ليصـل لمـا يريـد .. حتـى رأيـت مـا أبحـث عنـه ١١١ .. نظـرت إليـه بدقـة شـديدة حتـى أفهـم مـا أقـرأه، أخـذت اقـرأ مـن أول الجملـة :

أن الرؤيـة المتكـررة ل «١١:١١» عـلى السـاعة أو عارضـات الطريـق أو فى أماكـن أخـرى خـلال اليقظـة تعنـى أنـك مـدرك لمفهـوم التزامـن وأنـك شـخص حدسـى جـداً وذو روحانيـة عاليـة ومنجـذب نحـو دراسـة ال مـا ورائيـات .

إن تكـرار رؤيـة بعـض الأرقـام وبالأخـص ١١:١١ تعنـى أنـه يجـب عليـك التركيـز عـلى إبقـاء أفـكارك إيجابيـة قـدر الإمـكان، لأن رغباتـك سـوف تتجسـد فـوراً وتتخـذ شـكلاً، ضـع كل إنتباهـك فيـما ترغـب بـدلاً مـن فيـما تخـاف، وسـترى الفـرق فى النتيجـة .

كلـما رأيـت إشـارة ١١ : ١١ فهـذا يعنـى أنـك تسـلك الـدرب الصحيـح وأنـك تتمتـع بالحمايـة اللازمـة أُثنـاء ذلـك، يجـب أن نصبـح أسـياد أنفسـنا عوضـاً عن الخضـوع إلي السـلبية والفـوضى مـن حولنـا .

سـوف تعتـبر صحـوة مفاجئـة حيـث مـن بعدهـا الواقـع لـن يكـون كما هـو، سـتخلق وضوحـاً وشـفاءاً وتوازنـاً فى حياتك ..

لا تتوقـع مـن الآخريـن فى حياتـك أن يكونـوا جـزءاً مـن هـذه الرحلـة معـك ..

أنـت وحـدك فقـط مـن سـيبحث عـن أصدقـاء يشـاركونك تفكـيرك وبدورهـم قـد تأثـروا بهـذه السلاسـل الرقميـة، عندمـا تفتـح البـاب الرقمـى فـلا مجـال للعـودة ..

سـوف تدفعـك روحـك آليـاً وبسرعـة مـن مسـتوى التجربة إلى مسـتوى آخـر حتـى « تـدرك الأمـر « الوعـى لديـك يتسـع ويظهـر فهـم أسرع وأعظـم وإدراك أكثـر لمعانـى التزامنـات التـى سـتصبح متكـررة الحـدوث أكثـر

شـعرت أن المقالـة تحدثنـى بصفـة شـخصية قـرأت هـذه الكلـمات أكثـر مـن ثـلاث مـرات متتاليـة وفى المـرة الأخـيرة قاطعنـى إتصـال محسـن الـذى قـد أغفلـت عنـه وهـو منتظـر فى الأسـفل منـذ أكثـر مـن عـشر دقائـق .. مـر الوقـت سريعـاً كنـت اقـرأ فى حمـاس .. ضغطـت عـلى زر الـرد وقولـت لـه دون أن أسـتمع لمـا يقـول :

- نازل خلاص على السلم أهو

- وحياة أمك

- ههههههه والله نازل خلاص

- أخلص طيب

أغلقت الهاتف وقفزت مسرعاً وكان أسرع يوم أرتدى به ملابسى كان لدى شعور أن هذا اليوم مختلف فى كل حواسه وشعوره ولم أسهر منذ وقت طويل ..

منذ شهر وأنا أرقد بسريرى لا أتحرك كثيراً أصبح بدنى ضعيفاً أكثر مما هو عليه .

أنتهيت من إرتداء ملابسى تركت القميص ولم أغلقه وكنت أرتدى «**Under Shirt**» أبيض كعادتى ثم ركضت مسرعاً نحو السلالم وأنا اقرأ مرة أخرى فيما أبحث عنه حتى وصلت إلي باب العمارة العتيقة وكان ينتظرنى «محسن»، « **Welson**» عند هذه البوابة كان محسن يوبخنى على تأخيرى ولكنى لم أسمع شيئاً مما يقول كان نظرى متجهاً نحو المكان الذى سالت الدماء به عندما أرتطم رأس السيدة بالأرض ..

ثم تذكرت ما قرأت وقررت « يجب أن أجعل تركيزى إيجابياً »

ألتفت إلى «**Welson**» ورميت كل شئ خلفى دون جدوى .

أريد أن استمتع بالحياة وأخرج من هذه الدائرة اللعينة، كان « **Welson**» يحبنى أكثر من أى شخص على هذه الأرض

عندمـا رأنـى قفـز مسرعـاً فأمسـكت بيـده وأحتضنتـه فى حـب لكـى أطمئنـه أننـى قـادم معـه ..

أخذته من محسن وقلت له بحماس :

- هـااااا ... هـتروح عـلى فـين يامعلـم أنـا بتاعك النهـاردة ؟

- هنروح ديسكو .

- فين

- قريب من الدقى فحتة كده فالخبينى .

- في حتة إيه ؟

- فالخبينى .

- هههههههه هنروح غرزة ولا إيه .

- هههههه لا متقلقش سيبلى نفسك بس .

- ماشى بس مين جاي ؟

- محمود وشهيرة وهتجيب صحابها البنات .

- طـب أسـتنى بقـي لمـا أطلـع « **Welson**» أنـا أفتكـرت هنقعـد هنـا .

- ليه ما ناخده معانا عادى .

- ناخده فين ياعم إحنا رايحين على الموتوسيكل .

كان يمتلك الموتوسيكل الخاص به «Fire Race» كان يحتوى جسده بصعوبة نظراً لضخامته ودائماً ما أجلس خلفه مستمتعاً بسرعته ولكن هذه المرة كانت السرعة جنونية ..

كان الطريق فارغاً من السيارات ازدادت سرعته حتى وصلت إلي ما يقرب « ١٦٠ كم / فى الساعة» وكنت أرتدى نظارة لتقى عيناى من الهواء الشديد، كان الهواء يضرب جسدى بقوة ثم رأيت شخصاً فى هيئة «ملك الموت» لا يتضح ملامحه ولكنه كان مخيفاً ..

كان يريد أن يصافحنى ويبتسم رغم ملامحه الحادة، أقشعر بدنى فى خوف ولكن سرعان ما أغمضت عينى ولكن شعرت بإنتفاضة تسرى بجسدى، فتحت عينى مسرعاً فى فزع ثم صرخت بمحسن قائلاً :

- أهدى شوية هنمووت .

- بتقول إيه مش سامعك .

مددت ذراعى حتى يرى يدى ثم قفلت قبضة يدى مشيراً أن يتوقف أو يهدأ السرعة على طريقة سائقى وركاب الموتوسيكل .

تفهــم الإشــارة وقــام بتهدئــة السرعــة وتوقــف بجانــب الطريـق، فقفـزت عـلى الأرض ونظـرت لـه صارخـاً في وجهـه :

– إحنا كنا هنموت دلوقتى .

نظر لى فى عدم فهم قائلاً :

– نموت ؟! ماحنا طول عمرنا بنمشى كده .

– ياعــم المــرة دى أنــت مــش طبيعــى وبعديــن أنــا شــوفت ملــك المــوت

– ملــك المــوت ؟!! هههههــه هو فى إيــه إحنا لســه مشربناش .

– أنت بتضحك أنا متأكد أنه كان جاي ياخدنى أنا .

– وده شكله إيه بقى ؟

– كان شكله يخوف .

– طيب أركب يا أحمد أحنا متأخرين أصلاً .

– طيب بس بالراحة المرة دى .

– ماشى .

جلســت خلفــه مــرة أخــرى وأخــذت أفكــر فى المــوت مــا الــذى أثــار خــوفى مــن المــوت هكــذا ؟!

منـذ أيـام كنـت أريـد الإنتحـار ولا أكـترث للحيـاة وأريـد التخلـص منهـا الآن وعندمـا جـاءت اللحظـة كـى أمـوت أتراجـع هكـذا بـل كنـت حريـص عـلى هـذه الحيـاة المؤلمـة هـل هكـذا خلقنـا الله فى خـوف وقلـق دائمـين مـن أي شـئ مبهم ؟!

لم هـذا الخـوف مما بعـد المـوت ؟! هـل لأننـا نعلـم جيـداً أنها ليسـت النهايـة وأن المـوت بدايـة جديـدة لا تنتهـى أبـداً ومـن قـام بالإنتحـار هـل تمـر عليـه هـذه الأسـئلة ؟! أم أن السـوداوية فى الدنيـا تتملـك منـه تمامـاً ولا يفكـر سـوى التخلـص مـن هـذا العـذاب ؟

«فالسـوداوية نـوع مـن الحـزن الـذى ينشـأ عنـد إدراك حقيقة أن الحيـاة صعبـة بطبيعتهـا وليـس بسـبب مشـكلة معين»

***

وصلنـا أمـام ذلـك الملهـى وكان المـكان هـادئ مـن الخـارج وعندمـا وصلنـا إلى البـاب وقـام الجـارد بفتـح البـاب ليدخـل شـخصا مـا ،سـمعنا صوتـا صاخبـاً صدرمـن تلـك البوابـات،

كان محسـن لـه معرفـة بالجـارد وقـال أنهـم سـيدخلوننا دون دفـع أى نقـود .. دخـل محسـن وصافحهـم وتكلـم معهـم بصـوت هـادئ وأشـار لى بيـده، لا أعلـم مـا قالـه ؟

أشعلت سيجارة حتى ينتهى من ذلك.

فتـح الجـارد البوابـة وأشـار لنـا بالدخـول ثـم قـال وهـو يضـع يـده عـلى كتفـى الأيـسر :

- مش عايزين مشاكل .

- نظرت له مبتسماً وانا اقول محاولاً طمأنته :

- متقلقش انا مش بتاع مشاكل .

دخلنـا وكان الصـوت صاخبـاً اتجهنـا نحـو البـار مـان وطلبنا منـه محسـن «فـودكا» بالبرتقـال ووقفـت افكـر ماهـو المـشروب المفضـل لديـك هـذا اليوم؟أريـد أن أغيـب عـن الوعـى ..

نظر لى البار مان فى ابتسامة مزيفة وقال :

- محتار ليه كدة ! تحب حاجة خفيفة ولا عايز تموت !؟

لم أسـمع سـوى كلمـة « المـوت « قلـت لـه وانـا اشـير بأصبعـى نحـو صـدرى وقلـت فى حمـاس :

- هو دا انا عايز اموت .

- طيب سـيبلى نفسـك هعملـك مشروب اسـمه «ودع اهلك»

- ههههههه لا مانا ودعتهم من زمان .

ألتفـت فى هـذه اللحظـات حـولى وكان قـد وصـل محمـود وشـهيرة وصديقـة لهـا لم أرهـا مـن قبـل ..

صافحونـا فى حمـاس وطلـب كل منهـما مشروبـه الخـاص ليصبحـوا مهيئـين لهـذا العـالم ..

ثـم بـدأوا يتراقصـون مـع الموسـيقى فى مرونـة، نظـرت لى شـهيرة وقالـت بصـوت عـالى :

- معرفتكـش دى بقـى «منـة» صديقـة الطفولـة أنـا الـلى مربيهـا بـس هتعجبـك انتـوا الاتنـين صغيريـن زى بعـض .. عندهـا ٢٠ سـنة وأنـت ٢٢ يعنـى حلويـن عـلى بعـض .

نظـرت لهـا فى عـدم مبـالاة وإبتسـامة كادت أن تكـون فاضحـة مفادهـا أننـى لا اتقبـل تلـك الكلـمات، وشـعرت بعـدم رغبـة فى التحـدث معهـا برغـم رشـاقتها وأن جسـدها لا يظهـر سـنها، كان جسـدها نحيفـا شـئ مـا تمتلـك أكـبر مؤخـرة فى الديسـكو وهـذا كان مثـيراً جـداً ولكـن ..

لم زرع بداخلنـا حـب مؤخـرات النسـاء ؟! ولم تثـير بداخلنـا شـهواتنا

فالنظـر هـو أقـصر الطـرق إلى قلـب الإنسـان وهـو سـهم مـن سـهام إبليـس المسـمومة هكـذا قـال شـيخنا عـلى عندمـا كنـا صغـار وأنهـى كلامـه هـذا اليـوم «لا لإطـلاق البـصر» .

ونظـر إلينـا وقـال بصـوت جميـل «قـل للمؤمنـين يغضـوا مـن أبصارهـم ويحفظـوا فروجهـم» صـدق الله العظيـم .

أين ذهب ذلك الشيخ الجميل ومن مثله أين ذهب المعلمين حقا؟، لم لا نرى الآن من يعلمنا الخلق هكذا وهل إذا وجد من يعلمنا ويرشدنا سنستجيب له ؟

وهل هذا الجيل من الحمقى وأنا على رأسهم سيظل هكذا ؟! وهل سيظل بهذا الحرمان الجنسى ؟!

وإلى أين سنذهب فى نهاية المطاف ؟!

***

– ودع أهلك .. اتفضل يا برنس .

قالها البار مان وهو مبتسم .

ضحك الجميع ..

نظرت لهم مبتسماَ وفكرت قليلاَ لم أختار هذا المشروب لى هل شعر أننى يتيم أم شعر بصغر سنى ؟!!

نظرت إلى هذا الشاب وهو يقترب منى ويمسك نصف قطعة من الليمون ثم مسك بيدى ومسح الليمون فى وجه يدى بالقرب من إصبع الابهام وإضاف ذرات من الملح على تلك المنطقة أيضاً ونظر لى فى حماس وقال :

– مستعد ؟!

- آه جداً .

مسك بالكوب الطويل بقبضة يده وأغلق فوهة الكوب ثم ضربه على قطعة من الجلد موضوعة على البار وقدمه لى وهو فى حالة فوران كـ بركان، نزل الكوب فارغاً ووضعتة على البار وأخذت أأكل كل ما هو بيدى من ليمون وملح ..

أحمر وجهى ثم جلست على كرسى طويل أمام البار، أتت «منة» لكى تتحدث معى ولكن عقلى أصبح قطعة مجمدة لا يرى سوى من يحب أن يراهٍ

نظرت لها بعد ان أغلقت أذناى لا أسمع سوى الموسيقى أرى شفتاها تتحرك فى إثارة ولكن سرعان ما أتى « محسن» مازحاً وقال لى وهو يمسك كأس من التيكيلا :

- اية يا عم مالك احمريت كدة لية ؟!

- محمرتش ولا حاجة بس المشروب قوى شوية .

- تعالى أديك على أفاك وأنت هتبقى كويس هههههههه .

انطلقت ضحكات من حولى فى سخرية، كانت هذه طبيعة مزاحنا معاً ولكن هذه المرة أثارت غضب بداخلى لا أعلم من أين أتى ؟!

إنطلقت مسرعاً خارج المكان ووقفت بالخارج وأشعلت سيجارة وخرج خلفى محسن مسرعاً وقال وهو يلهث :

- ايه يا عم مالك انت زعلت ؟!

- لا بس حسيت أنى إتخنقت من الجو جوه، الدنيا زحمة واللى أنا شربته دا مسخن جسمى .

- طيب نقف هنا شوية و .....

قاطعت حديثه متسألاً :

- فين الاستروكس اللى قولتلى عليه ده ؟!

- معايا .

- طيب متلف لنا سجارة .

- ماشى بس خلى بالك دا قوى جدا .

- يا عم إخلص .

أخرج من علبة السجائر كيساً صغيراً جداً ومسكه بيده .. تذكرت مقولة « تمخض الجبل فولد فأراً « .

ثم وقف تحت شجرة وأخرج سيجارة وفرك تبغها على ورقة عملة اجنبية كان يحبها لا أعلم عنها شئ ثم سحب ورقة من دفتر البافرة وأخذ يرمى تبغ قليلاً بها كمحترف .

إندهشت من قله التبغ سائلاً :

- انــت بتعمــل ايــة بتلــف ســيجارة فاضيــة ؟! فــين الا ســـتر وكس !

- استنى !

قبـل أن يلعـق أطـراف الورقـة لتلتصـق ببعضهـا أخـرج ذرات مـن هـذا المخـدر ووضـع منـه قليـلاً جـداً داخـل السـيجارة وكأنـه يضع خلطـة لوجبـة سريعـة ثـم لعـق الورقـة بلســانه الكسـول المتثاقـل ثـم أرخـى يـده اليـسرى وقـال فى إرهـاق وهـو ينظـر لسـاعته :

- يلا عشان منتأخرش عليهم جوه .

- طيب ولع الأول .

- هنا

- أه هنا

- ماشى

ملحوظة :

الاســتروكس او «مخـدر الشـيطان» يعـد مـن المخـدرات المختلفـة والتـى يبلـغ عددهـا اكثـر مـن ١٢٠ نوعـاً ..

ويحتـوى عـلى تركيـزات مـن مخـدر الحشـيش ومركبـات الهيوسـين والهيوسـايمين والاتروبـين ويعـد هـذا المخـدر أخطـر مـن الحشـيش والبانجـو وتأثـيره أقـوى مـن الحشـيش ٢٠٠ مرة لإحتوائـه عـلى مـواد كيمائيـة بجانـب المـواد المخـدرة المعروفـة وتعمـل هـذه المـواد عـلى الجهـاز الباراسـمبثاوى وتسـبب إرتخـاء العضـلات والامسـاك والإحتقـان وإتسـاع حدقـة العـين وإنخفـاض الضغـط الدمـوى وإحتبـاس البـول وزيـادة ضربـات القلـب وخلـل بالوعـى أو مـا يعـرف بشـبه الغيبوبـة، ويصـاب الشـخص بهـلاوس سـمعية وبصريـة ..

هـذه هـى المعلومـات الطبيـة ولكـن دائـماً أرض الواقـع والتجربـة الشـخصية مختلفـة يـا صديقـى ولكنـى لا أنصـح مـن يقـرأ الآن أن يتعاطـى هـذ المخـدر تـت أي ظـرف أو تظـن أن هـذه تجربـة وسـوف تمـر مـرور الكـرام، هـذا المخـدر أصبـح وبـاء سـيقضى عـلى كل مـن يقـترب منـه .

تسـمى سـيجارة الأسـتروكس « أسـبلف» وليـس «جـوب» لصغـر حجمهـا وقـوة تأثيرهـا فالنفـس الواحـد يعـادل ٨ أنفـاس مـن مخـدر الحشـيش ويسـتخدم لتهدئـة الثـيران .

أشـعل « محسـن» السـيجارة وأخـذ نفسـاً صغـيراً وأشـار لى أن آأخـذ تلـك السـيجارة مـن يـده، كان هاتفـه يـرن طـوال الوقـت وقـرر أن يـرد وضعـت السـيجارة فى فمـى وأخـذت

نفساً عميقاً وقبل أن ينهى « محسن» المكالمة أخذت نفساً ثانياً، نظر لى وأتسعت عيناه فى تحذير بأن لا أتعاطى أكثر من ذلك ولكن كان الدخان قد أقتحم رئتاى الصغيرتان، نظرت له فى عدم مبالاة وأعطيته السيجارة قائلاً:

- خد ياعم

- أنت شربت كام نفس ؟

- أتنين

- يخرب بيتك !!

قبل أن يكمل كلماته ضربت الذبذبات جسدى من يدى حتى أخمص قدماى ،شعرت وكأن جسدى يتضخم كما يحدث بأفلام الخيال العلمى.

لم تمر ثوانى حتى شعرت بأننى ليس لى وجود على كوكب الأرض، شعرت أننى لُفظت خارج العالم الذى لا أعرف له نهاية ،طُردت حيث اللاوعى «فالعقل الباطن» أضخم بكثير مما يظهر به «العقل الظاهر» ..

لم يكن «محسن» أيضاً فى حالة إتزان، أما أنا فكنت أميل إلى الخلف قليلاً .

أمسك محسن بأطراف قميصى محاولاً ألا يجعلنى أتراجع أكثر، بعد تضخم جسدى شعرت أننى أشبه بديناصور ،

عبرت الطريق مسرعاً وأخذت أركض ،شعرت وكأن الأرض تهتز من تحت قدماى من فرط ضخامتى ،ثم وقفت واضعاً يداى فى جيوبى ونظرت أمامى بمنتهى اللامبالاة .

عبر «محسن» الطريق راكضاً خلفى وخرجا أيضاً «محمود وشهيرة ومنة» من الديسكو ،ركضوا جميعاً خلفه فى إستغراب، وقفوا أمامى يتحدثون ،فى تلك اللحظة فقدت كل من نظرى وسمعى ،نظر «محسن» فى عينى وقال وهو يصفعنى على وجهى محاولاً إفاقتى :

- أحمد مالك ؟ أنت شايفنى ؟

لم أجبه وكنت أنظر إلى عينيه مباشرة ..، لم تمر ثوان وسقطت على ركبتاى ومازالت يداى فى جيوبى وظللت جالس على ركبتاى برهة من الوقت، وأخذت أتظاهر أن كل شئ على مايرام،

كنت فى هذه اللحظات قد أنتقلت إلى عالم آخر أنقطع إتصالى بكل شئ .

وشعرت أن قلبى توقف !!

إنقلب جسدى على الأرض مثل أضُحية العيد، هنا كنت قد وصلت إلى «الموت» الذى أنتظره طوال حياتى ....

شعرت أن نبضات قلبى تعلو وصوتها كصوت مطرقة تدق فى قلبى وتصاعدت أنفاسى حتى بدأت الدقات تنخفض ..

حينها جال بخاطرى أنها النهاية وأننى سأموت حتماً .

لم أكن اسمع سوى كلمات «محسن» وهو يقول فى ذعر :

- أحمد !! في ايه ؟ .. رد عليا طيب !!

كل جسدى قد توقف عن الحياة ولكن لم أسمع تلك الكلمات ؟!

وبدأت أشعر أن روحى تتصاعد شيئاً فشئ..

حينها شعرت بألم لم أشعر مثله قط، هذا الألم له مذاق مختلف ليس كأى ألم أحسسته يوماً ،فهو ليس طبيعياً .. هل خروج الروح من الجسد بتلك الصعوبة ؟! هل شعرت أمى بتلك الأوجاع ،هل سأقابلها الآن ؟!

لا أتذكر الآن ماهو الموقف الذى سأبُعث عليه ،كانت ذاكرتى مشوشة لا أستطيع أن أتذكر آخر شئ قمت بفعله عندما سقطت هل مت وأنا نائم أم فى عملى أم كنت فى حالة سكر ؟!

لا أتذكـر آخـر شـئ ومـا هـى تلـك الأصـوات ولمـاذا صوت «محسـن» فقـط مـا أسـمعه الآن هـل كان معـى عند سـقوطى ؟

هــل أتــى إلى تلــك الغرفــة التــى أرقــد بهــا ثــم رأى جثتــى عــلى الأرض بداخــل تلــك الغرفــة الكئيبــة ؟! كان صــوت محســن واضحــاً وهمهــمات أشــخاص بجانبــه لا أســمعها وكان يــردد كلــمات مثــل :

أشهد ان لا اله الا الله .. أحمد .. مالك يابنى ؟!

أشــعر وكأننــى متجــه إلى القــبر فى ســيارة إســعاف سريعــة كان جســدى يرتعــش بقــوة وتســائلت:

هل إنتهت حياتى بتلك السهولة ؟!

اللعنــة عــلى كل شــئ، اللعنــة عــلى كل مشــاكل الحيــاة التافهة أمــام ذلــك الألم .. كانــت أنفاســى تتصاعــد مــن رئتــاى بصعوبة حتــى نفذ الهــواء مــن كل جســدى ....

شــعرت أن عقــلى يتبخــر، كل ماحــدث فى عمــرى يمــر أمامــي فى ثــوان معــدودة، رأيــت أمــى ثــم أخــى وفــترة فقدانــه وفــترة مــن حياتــى وأنــا وحيــد و الحــادث الــذى كاد أن يقتلنــى ورأيــت «ريحانــة» ثــم إنتهيــت برؤيــة المــرأة التــى لا أعلــم عنهــا شــيئاً حتــى الآن .

كان مـرور تلـك المشـاهد فى عقـلى صعـب جـداً خاصـة فترة هـذه المـرأة شـعرت بـألم لا أسـتطيع وصفـه .. رأيـت شـعاع ينطلـق فى عقـلى لُينهـى ذلـك الفيلـم القصـير الـذى إسـتغرق سـنوات مـن عمـرى كيـف مـر شريـط حياتـى بتلـك السرعة ؟!

كنـت أرى هـذا فى الأفـلام واقـرأه فى الروايـات ولكـن كنت أعتقـد إن ذلـك مـن صنـع خيـالات الكُتـاب ووهـم المُخرجـين لخلـق الإثـارة والغموض .

كيـف علمـوا أن هـذا يحـدث ولم يمـت احـداً مـن قبـل ثـم استيقظ مـرة أخـرى مـن موتـه ؟

إنتهـى ذلـك ولم تمـر لحظـات حتـى شـعرت بقبضـة قويـة تضربنـى بصـدرى فأصبـت بالشـلل في كل أعضائـى التـى أراهـا بذهنـى فقـط ذهنـى هـو الشـئ الوحيـد الحـى بداخـلى حتـى الآن ..

كانـت الضربـة قويـة سـحبتنى إلى باطـن الأرض وركضـت بـى إلى الأعـماق في سرعـة كبـيرة، أقـاوم فى رعـب شـديد كانـت أعضائـى تتمـزق مـن قـوة الضربـة كانـت الألام تفـوق الوصـف، لم أشـعر بهـا مـن قبـل .

عقـلى سـألنى فى ذُعـر هـل هـذا مـا يسـمى الثُعبـان الأقرع؟! أم شـئ آخـر؟! أعلـم جيـداً أنـه لا وجـود لشـئ كهـذا فى الديـن

ولكـن مـا هـذا اتسـائل فى ذُعـر وخـوف و جسـدى لا حيلـة لـه أشـعر أننـى مكتـوف الأيدى .

ضربـات فى الـرأس و فى الصـدر وفجـأة تأتـى يـد لا أعلـم مصدرهـا تأخـذ بيـدى وتسـاعدنى وتهـون الألم قليـلاً، وتلقـى بوجهـى ميـاه بـاردة تُشـعرنى أننـى حـى يـرزق، ثـم ألتقـط أنفاسـى بسرعـة وكأن الأكسـجين سـينتهى مـرة أخـرى ..

شـعرت براحـة فى قلبـى وقبـل أن تكتمـل تلقيـت ضربـة أخـرى فى صـدرى و فى وجهـى ويـد قويـة تمسـك برأسـى وتدفـن جسـدى ككُتلـة واحـدة مـن رأسـى إلى قدمـاى فى أعـماق الأرض .

ماهـى تلـك الدوامـة «هـل هـذا الثـواب والعقـاب ؟! « هـل أنتهـت حياتـى للأبـد ؟! أيـن الملائكـة أيـن الله أيـن الأمـوات و الجنـة و النـار هـل انتهـى أمـرى؟!

تحولـت الآن إلى قطعـة مـن الرمـال والطـين لا قيمـة لى ولا وجـود لى عـلى تلـك الكـرة الارضيـة، هـل سـأظل فى ذلـك العـذاب ؟!

وهـل سـينتهى ؟َ! وهـل الآن يوجـد وقـت ام تلـك هـى النهايـة وسـيتوقف كل شـئ إلا العـذاب ؟!

هــل هــذا هــو عقــاب الطبيعــة ولا يوجــد إلــه وهــل الميــاه التــى تُلقــى عــلى وجهــى هــى الثــواب الــذى قمــت بــه فى الدنيــا هــل هــذه قوانــين الطبيعــة أم أن هــذه مرحلــة مؤقتــة إلى أن أقابــل الله وملائكتــه ؟!

لا أتحمــل هــذا العــذاب يــا الله « نفســى أرجــع تانــى الدنيــا و لــو ثوانــى لأتنفــس هــواء نقيــاً « ســمعت تلــك الكلــمات فى عقــلى الباطــن، ظلــت تتكــرر فى ذهنــى دعــوة واحــدة أدعوهــا مــن قلبــى:

«ربــى أرجعنــى أعمــل صالحــاً فيــما تركــت» كنــت أتمنــى فى تلــك اللحظــات أن أرجــع إلى الأرض مرة اخرى من شــدة الألم .

من أنا الآن ؟!

وهــل أريــد حقــاً أن أرجــع إلى تلــك الدنيــا التــى كنــت أتمنــى التخلــص منهــا بالإنتحار؟!

وهــل أنــا الآن منتحــر أم أن الله قــد قبــض روحــى بأمــره ؟! لا أتذكــر شــئ كل مــا أعلمــه الآن أننــى فى تلــك الدوامــة إلى مــا لا نهايــة أو إلى أن أبُعــث إلى الله .

شــئ فى عقــلى ألحــد وأنكــر وجــود إلــه للكــون مــن شــدة مــا رأيــت مــن عــذاب مســتمر دون حســاب أو رؤيــة ملائكــة الله ؟

« أيـن هـو الله» ؟! أريـد أن يحاسـبنى برحمتـه أنـا لا أسـتحق تلـك الألام كانـت الدمـوع تمـلأ عينـاى و شـعرت أن جسـدى تحـول إلى جثـة وروحـى فقـط هـى التـى تشـعر و تتحـدث و تتـألم و تبكـى .

فى هـذه اللحظـات لم أشـعر بجسـدى لا يوجـد جلـد فأنـا الآن كعظـام فى هـواء طلـق أشـعر بـبرد شـديد .

هـل أنـا الآن خـارج هـذا العـالم وأنتقلـت إلى عـالم لا يوجـد بـه أجسـاد فقـط نتعامـل بأرواحنـا ؟!

متـى سـينتهى هـذا العـذاب والـبرد الشـديد ؟! .. عنـد موتـك ستشـعر بالـبرد الشـديد و الوحـدة الشـديدة لا أحـد سيسـمع صراخـك وندائـك، ولا أحـد سيسـتجيب إلى إسـتغاثتك إلا الله، ولكـن هـل سـيكون قـد فـات الأوان ؟! وتنتقـل إلى كل مـا هـو هـلاك فالنتيجـة مكتوبـة ومعروفـة الآن ولا أحـد يعلمهـا سـوى الله .

كانـت إسـتغاثتى أقـوى مـن أى شـئ مـررت بـه فى حياتـى فذلـك العـذاب جعـل منـى للحظـات شـخصاً كافـراً .. أنكـرت وجـود الله وأن هـذا كلـه مـن صنـع الطبيعـة شـئ فى عقـلى جعلنـى أخـرج عـن كل مـا هـو معقـول و كل قناعاتـى .

لم لا يستجب أحداً إلى ندائى ؟!

وإلى متى سيستمر هذا العذاب ؟!

« أصبحت أنا الوحدة .. وأصبحت جزء من الألم» .. لا أشعر بالوقت ولكنني يئست من المحاولة ثم إستسلمت إلى ذلك العذاب بالرغم من عدم تحملى تلك الألام .

***

لا أعلم كم مر من الوقت حتى الآن كنت أشعر أننى سأقضى حياتى فى هذه الدوامة إلى ما لا نهاية ...

ثم توقف كل شئ فجأة وعاد لقلبى نبضاته مرة أخرى فتحت عيناى رأيت السماء سوداء .

أشعر بوجوه بجانبى ولكننى لا أراها جيداً فكانت مشوشة، أين كنت ؟! وهل هذه فرصة جديدة للعودة إلى الحياة والأرض مرة أخرى ...

كانت هناك صرخات وأصوات بكاء وأحدهم يعبث بجسدى المُلقى على الأرض .

إستعدت وعي مرة أخرى ونظرت لهم وقفزت مسرعاً مشيراً بيدى ألا يلمسنى أحد أو يقترب منى ..

نظراتهم كانت مليئة بالدهشة والفرح معاً .. رفعت يدى فى عنف مشيراً أن يبتعدوا ثم قلت بقوة :

– خلااااااص، إبعدوا عنى أنا كويس .

كان بداخـلى شـئ مـن الريـب فى كل مـن حـولى ،أشـعر أنهـم أعـداء .. نظـرت إلى محسـن و قلـت فى بـؤس :

– أحنا أخرتنا وحشة اوى !!

نظر لى فى عدم فهم وقال لى محاولاً طمأنتى :

– إهدى بس أنت كويس و معانا أهو متقلقش .

– أنا مُت يا محسن وكنت بتحاسب .

– طيـب متفكـرش فحاجة بـس دلوقتـى وأنت هاتبقـى تمام .

– بقولك مُت وشوفت أخرتى .

– طيب أقعد بس وأهدى .

جلســت عــلى مقعــد خشــبى واضعــاً رأســى عــلى يــدى فى تفكيرعميـق هـل مـت حقـاً أم هـذا توهـم وهـل سـوف يصدقنـى أحـداً فيـما رأيـت أم أن إدراكهـم لـن يسـتعب مـا شـاهدت ؟! هـل سـتصل لهـم الرؤيـة أم أنـه مـن الصعـب عـلى العقـل البـشري أن يسـتوعبها ؟!!

كان شــئ فى قلبــى يتشــاجر معــى أن مــا رأيتــه ليــس هــو الحقيقــة ،

لم يمر الكثير من الوقت ولكن نظرت إلى الساعة وكانت ١١:١ نظرت إلى محسن مندهشا وقلت له :

– بص

– إيه دا ؟!

قالها وكأنه يتحدث إلى طفل ..

قلت له فى تعجب :

– مش أنا كنت قولتلك على الحوار ده وإن الرقم دا بيظهرلى كتير .

– طيب أهدى بس .. إيه المشكلة ؟!

– إزاى ؟! يمكن كنت هموت فى الوقت ده وكان مكتوبلى أموت دلوقتى .

– يا عم بطل تفكير فى الهبل ده بقى .

نظرت إلى السماء لا أعلم ماهى الرسالة التى تريد أن تصل لى ! بالتأكيد هناك شئ لا أعلمه ..

ثم تذكرت ما قرأت أن تكرار رؤية بعض الأرقام وبالأخص «١١:١١» تعنى أنه يجب عليك إبقاء أفكارك إيجابية قدر الإمكان .

لأن رغباتـك سـوف تتجسـد فـوراً .. وتتخـذ شـكلاً جديـاً، ويجـب أن تضـع كل إنتباهـك فيـما ترغـب بـه بـدلاً مـن أن تضعـه فى مـا تخـاف فهـذة العلامـة تعنـى أنـك تسـلك الـدرب الصحيـح وأنـك تتمتـع بالحمايـة اللازمـة أثنـاء ذلـك .

***

قفـزت مـن المقعـد الخشـبى مسرعـاً واتجهـت نحـو الطريـق .. ثـم ركـض محسـن خلفـى و مسـك بيـدى السـاخنة وقـال لى :

- رايح فين ؟!

- مروح .

- استنى هوصلك.

- توصـل مـين !! أنـت مـش شـايف نفسـك عامـل إزاى أنـت كـمان .

- طيب استنى شوية وهنمشى .

- أنا هكلم «ريحانة» عايز أشوفها دلوقتى .

- نعم !! ريحانة إيه دلوقتى الوقت اتأخر .

لم أهتـم بالوقـت المتأخر و أجريت مكالمة إلى ريحانة لم تسـتغرق ٣٠ ثانيـة وقالـت لى أنهـا بالقـرب منـى وسـتأتى فى الحـال.

جلسـت عـلى الرصيـف وحـولى الجميـع كان هنـاك حالـة مـن السُـكر الجماعـى تسـيطر عـلى عقولنـا ولا يوجـد بداخلنـا شـخصاً متزنـاً الـكل ينظـر إلى عينـاى الحمراوتـان ولا حيلـة لهـم أن يسـاعدونى بشـئ .

أشعلت سيجارة رغماً عنى وقلت لهم فى استغاثة :

- أنا جعان .

نظروا لى جميعاً وقالت «منة» فى حماس :

- أنا معايا شيكولاتة .

أشرت لهـا بأصبعـى وأنا أنحنى برأسـى إلى الارض بألا أريد .

كان الجميـع فى حالـة مـن اللامبـالاة، وكان محسـن الـو حيـد الـذى يشـعر بالقلـق حيـالى.

لا أحـد يسـتطيع أن ينقذنـى الآن أو يقـدم لى بعض المسـاعدة حتـى أنـا لا اسـتطيع إنقاذ نفسـى ..

مـاذا افعـل الآن حتـى أسـتريح مـن تلـك الألام وأنسـى مـا رأيـت مـن مناظـر مرهقـة للنفـس والذهـن ؟!

هــل أتعاطــى بعــض المخــدرات مــرة أخــرى لأفقــد ذاكرتـى؟! أم «يمكننـى تجنـب التفكـير فقـط بإغلاق عينـاى؟» .

***

لم أنتهى من تدخين السيجارة الثانية وكانت قد وصلت «ريحانة» أنتبهت لصوت فرامل سيارة فارهة تقف بالجهة الأخرة من الشارع ..

ذلك الصوت الذى قد سمعته من قبل عندما صدمتنى .

قفزت خارج السيارة متجهة نحوى وقفت أمامى وإنتزعت السيجارة من فمى بقوة دون أن تتحدث بكلمة واحدة .

نظرت فى عيناى وجلست نصف جلسة مثل المساجين فى طبور العرض وقالت :

– مالك يا أحمد ؟!

– أنا مُت .

– مُت !! إزاى يعنى ؟!

– والله مُت وقلبى وقف للحظات وشفت أخرتى و ....

قاطعتنى وهى تنظر لعيناى وتشير إلى فمى أن أتوقف عن الكلام وقالت بنبرة هادئة :

– طيب أهدى ممكن تهدى ؟

– انتى مش مصدقانى ؟!

- لا مصدقة .. بس أنت لازم تاكل حاجة الاول .

نظـرت إلى مـن حولهـا وكان واضحـاً عليهـم حالـة السُـكر، قفـزت مسرعـة متجهـة نحـو السـوبر ماركـت، لم تتأخـر ثـم أتـت ومعهـا كيـس مـن البطاطـس بطعـم الخـل الـذى طالمـا كرهتـه طـوال حياتـى، فتحتـه وهـى تتجـه نحـوى ووضعـت ثلاثـة قطـع مـن البطاطـس فـوق بعضهـم وأدخلتهـم بفمـى .. لم أسـتطع أن أعـترض ووضعـت الكيـس بيـدى وقالـت وهـي تأمرنـى بحـدة :

- خلصة كله .

كان محسـن يقـف بجانبـى يحـاول أن يسـتيقظ مـن مـا هـو عليـه وقـال لى وهـو يحـاول أن يتماسـك :

- يلا علشان نروح .

- ماشى .

نظرت لى ريحانة وقالت محاولة طمأنتى :

- أنا هستناك عند البيت .

لم أفهـم لمـا فعلت هـذا .. كان يجب عليهـا ان تنقلنى بالسـيارة

هـل هنـاك شـئ سـتفعله أولاً ثم سـتلحق بـى بعد ذلـك ؟!!

صعـدت إلى سـيارتها و نظـرت لى مبتسـمة إبتسـامة مطمئنـة ثـم إنطلقـت مسرعـة ..

نظـر لى محسـن ووضـع يـده عـلى كتفـى محـاولاً إسـتعادة أنظـارى وقـال لى :

- إيه مش يلا ؟!

- أه يلا .. هتعرف تسوق ؟!

- اه .. متقلقش

وصلنـا إلى تلـك البوابـة العريقـة «بوابـة منـزلى»، برغـم أننـى أسـكن فى تلـك العشـش الخشـبية المُحتقـرة التـى لا تلفـت إنتبـاه أحـد ولكـن كان هنـاك شـئ أحبـه بتلـك العـمارة الضخمـة أشـعر دائـماً بالراحـة والأمـان عنـد الدلـوف إليهـا

لم أدخـل إلى تلـك البوابـة وجلسـت عـلى الرصيـف ثـم أشـعلت سـيجارة ..

اندهش محسن من تصرفى وقال لى :

- أنت مستنى ايه ؟!

- أمشى أنت .. هشرب السيجارة دى وأطلع

- طيب هبقى اكلمك

انطلق مسرعاً وتركنى وحيداً ..

كنت تقريباً وحدى بالشارع كان الهواء نقى يحمل شئ من البرودة دون أتربة ولا يحمل أصوات الضوضاء المحملة بالتلوث السمعى .. أخذت نفساً عميقاً من السيجارة وأغمضت عيناى ونفثت الدخان بقوة شعرت أننى لم أتذوق طعم الدخان هل العين هى من تتذوق وتستمتع بالدخان ؟!

هل الدخان دون حاسة النظر لا قيمة له ؟! هل هذه النظرية التى روتها لى ريحانة تبدو حقيقية وصحيحة أم أنها مجرد ثرثرة لقرع الكؤوس ؟!

قاطعنى صوت فرامل سيارتها وهى تقف أمامى، للمرة الثالثة يتكرر صوت هذه الإطارات وهى تحترق على أسفلت المدينة ..

هل أصبحت مدمناً لهذا الصوت ؟! هل أصبح متعلقاً بسعادتى لإرتباطه بوجود «ريحانة» ؟!

قفزت خارج سيارتها وأتجهت نحوى وجلست بجانبى وهى تقول فى حماس :

- إتأخرت عليك ؟

- لا

- مالك بقى وإيه اللى انت بتقوله ده ؟!

- أنا مُت والله مُت وصحيت تانى !!

- إهدى بس وبالراحة كده .. إحكيلى شوفت إيه ؟

***

بعد مرور ما يقرب من ربع ساعة وأنا أحاول أن أصف لها ما رأيته وما حدث معى، نظرت لى وقالت كطبيبة تشخص حالة أمامها :

- بص المخ بينقسم إلى نصفين .. فص أيمن وده مسئول عن الخيال وأحلام اليقظة و الألوان و الأشكال، و المخدر اللى أنت أخدته ده بيلعب على الحتة دى هو مخدر قوى جداً، و كل اللى أنت شوفته ده كان فى عقلك الباطن أنت دايماً بتفكر فى الموت صح ؟!

- أيوة بس اللى أنا شوفته ده حاجة فوق الطبيعة فوق تخيُلات البشر فوق العقل البشرى أصلاً .. أنا عمرى ما شكيت لحظة أن مفيش أخرة و أن مفيش جنة ونار .. علشان أشوف ده وأحس إنى أول ما مُت أن هو ده العقاب الأبدى و إن ده عقاب الطبيعة وإن الكون ملوش إله !!

كنت فى حالة يُرثى لها أتكلم بحدة و إنفعال كنت أشعر أن هناك شئ يجب أن أفهمه ..

نظرت لى فى عطف وحنان وقالت لى وهي تهمس فى أذنى :

- بيقولك بقى أن لو عايز تقول لحد سر قوله فى ودنه الشمال الكلمات الرقيقة و العاطفية بتتسمع أوضح لما بتوصل مباشرة الى نص عقلك الشمال وأنا عايزة أقولك إن عينيك دبلانة بس حلوة اوى .. ومتخفش أنا جنبك مش هسيبك، بس عايزاك تشيل فكرة الموت دى من دماغك شوية، بص هقولك على حاجة زى ما جوانا غريزة للحياة جوانا كمان غريزة للموت يعنى الناس اللى بتنتحر مثلاً دول ناس إنتصرت جواهم غريزة الموت على غريزة الحياة، لكن أنا عارفة إن أنت مكتئب فدايماً حزين، مستسلم، وأكيد دايماً بتهرب من إكتئابك بالنوم، وبالمناسبة النوم أكبر وجه من وجوه غريزة الموت كل يوم بنموت عدد ساعات معينة وبعد كده بنصحى تانى عادى و نكمل حياتنا، أنا مش هقولك أبعد عن غريزة الموت بعيد عنك خالص لأن دى جزء مننا وإن الموت هو الحقيقة الكاملة ..

أوعى تكون فاكر إنك تقدر تنسى أو تشيل الفكرة دى تماماً من دماغك، ده واقع وزى ما فى نفس اللحظة اللى بتتولد فى جسمك خلايا جديدة، بتموت قصادها خلايا

تانيــة .. حتــى وأنــت بتسـلم عليـا دلوقتـى بيمـوت ألاف مـن الخلايـا فى جلـدك بمجـر د الإحتـكاك .

مســكت يــدى شــارحة لى مــا تقــول ثــم قفــزت واقفــة ووقفــت معهــا ثــم إحتضنتنــى بقــوة ويــداى بجانبــى كنــت هزيــل وضعيــف هــذا اليــوم أكثــر ممــا أنــا عليــه ..

لم يحتضــن أحــداً طــوال حياتــى ســوى «ويلســون» ذلــك الكلــب المخلــص الــوفى ..كان شــعوراً مختلفــاً ولكــن سرعــان ما أنقطـع هـذا الشـعور عـلى صـوت شـابان كانـوا يعـبران الطريق نظــر لى احدهــم وقــال فى إبتســامة ســاخرة :

– إيه يا مجنون

قولت له بعنف وأنا أنظر له بحدة :

– فى حاجة ؟!

– لا لا .. كمل كمل !! هههه .

***

بعـــد أســـبوع وأيـــام مـــن النـــوم المتواصـــل والإســـتيقاظ للصـــلاة فقـــط والنـــزول للعمـــل ..

قــد بــدأت أرجــع مــرة أخــرى إلى الدنيــا وعــالم الشــهوات، إســتيقظت مــن تلــك الحالــة ومارســت حياتــى الطبيعيــة .

وفى يوم بعد عودتى من العمل جلست فى مكانى المفضل على التاندة وأشعلت سيجارة وتناولت قبلها الحبوب المخدرة و المهدئة التى قد أعتدت عليها منذ سنوات و لا أستطيع الإقلاع عنها .

أتعاطى تلك الحبوب على غير إنتظام وكل فترة أغير إلى نوعاً جديداً، كنت أحب أن اقرأ الكتب ذات الطابع النفسى ..

كان الفضول دائماً يقتلنى عن الأشخاص التى تتعرض للصدمات فيتحولون إلى مرضى نفسيين فى يوم وليلة دون سابق إنذار أو محاولة لمواجهة الحقائق فلا يكترث بهم أحداً مرة أخرى...

هناك دائماً سؤال يخطُر ببالى «هل العلم أقوى أم الإيمان»؟! فعندما وصلت إلى الإيمان الأسبوع الماضى بعدما مررت بشئ قاسى أصبحت أشعر بهدوء وسكينة مرة أخرى ..

فعليكم أن تعلموا أن الفناء حق وأن الجنة حق وأن النار حق وأن الله هو الحق، فقط الحياة على الأرض هى من تحدد مكانكم الذى ستتوجهون إليه !!

وقفـت لكـى أقفـز داخـل الغرفـة ولكـن لاحظـت تلـك المـرأة تجلـس فى الشـارع بالقـرب مـن سـلالم سـينما بجـوارى مـن الجهـة المقابلـة مـن الشـارع ..

شـعرت أن هـذه هـى الفرصـة ويجـب أن أُتمسـك بهـا هـذه المـرة ...

قفـزت داخـل الغرفـة وركضـت عـلى السـلم مسرعـاً حتـى وصلـت إلى الشـارع، ثـم عـبرت ذلـك الطريـق وأنـا أحـدق النظـر بهـا و متجهـاً نحوهـا كقاتـل محـترف ..

وعندمـا لمحتنـى تغـيرت ملامحهـا وأخفـت كيـس مـن المـال فى صدرهـا ثـم تحدثـت بهـدوء موجهـة كـف يدهـا فى وجهـى مشـيرة بـأن أتوقـف وقالـت :

- إهـدى يـا محمـد أحنـا مـش أتفقنـا أنـك هتسـافر ومـش هتاخـد فلـوس منـى تانـى .. جـاى ليـه بقـى ؟!

نظـرت لهـا وأتسـعت عينـاى فى إندهـاش مـاذا تقـول ؟! وهـل تعنـى مـا قالتـه هـل «محمـد» عـلى قيـد الحيـاة حقـاً ؟!

دقـت الصدمـة فى قلبـى كمسـمار طولـه كالسـيف دخـل صـدرى وخـرج مـن ظهـرى ..

هل هو يشبهنى كثيراً إلى هذا الحد ؟!

إشــتعل عقــلى مفكــراً فيــما قالتــه بعــد أن ســاد الصمــت قليــلاً وينتظـر ذهنـى أن يسـتيقظ مـن النـوم مثـل مـا حـدث فى المــرات الســابقة ..

هل كانت السبب فى إختفائه ؟!

كان هنـاك شـئ فى قلبـى يحدثنـى دائـماً أنـه مـازال عـلى قيـد الحيـاة فهـو ليـس بـأخ فقـط هـو نصفـى الـذى لطالمـا إفتقدتـه كل هــذه السـنوات وإنطفئـت بعـد رحيلـه ..

كان وجهـى قـد أشـتعل وعظـام وجهـى انصهـرت مـن قـوة الصدمـة ..

ولكــن تماســكت بعــد أن ظللــت واقفــاً أمامهــا لفــترة لا أتحــدث ســوى بداخــلى ..

ثم تماسكت و قلت لها فى

غضب :

- إنتى بتقولى إيه ؟! أنتى عارفة أنا مين ؟!

لم تســتعب الســؤال فكانــت عــلى يقــين إنهــا تتحــدث إلى محمــد أخــى .

ردت قائلة فى إستعطاف :

- أنـت بتهددنـى يا محمـد أنا عارفة أنـت ممكن تعمـل إيه بس دى أخـر مـرة هديـك فيها فلوس و متنسـاش أن أنا الـلى مربياك .

- فلوس !!

كنـت فى حالـة ذعُـر مـن قـوة الصدمـة وكان لابـد أن أخـذ ذلـك عـلى محمـل الجـد .

نظرت فى عينى وقالت :

- أه فلـوس .. أمـال أنـت جـى ليـه ؟ وبعديـن مـال شـكلك غريـب كـده ودقنـك طويلـة ؟!

- عشان أنا مش محمد .

نظرت لى فى ذعُر وقالت وهى تنهض :

- يعنى إيه ؟! أمال أنت مين ؟!

- إنتـى عارفـة يعنـى ايـه .. أنـا احمـد الـلى كنتـى بتراقبيـه وهـو صغـير وبتظهريلـه فى كل حتـة .

فهى لم ترنى منذ سنوات ..

ثم قلت لها بصيغة أمر :

- متتحركيش من مكانك .. انتى سامعة !!

مسـكت هاتفـى وطلبـت محسـن وقلـت لـه أن يحـضر إلى كافيـه بجـوار شـارع الألفـى ..

مسكت يدها وأتجهنا نحو هذا المكان ،

كانـت نبضـات قلبهـا تـدق بشـدة و جسـدها ينتفـض رعبـاً تنظـر لى غـير مصدقـة ،ثـم سـاد الصمـت طـوال الطريـق ..

هوت الصدمة على رأسى كالصاعقة،

فنصفى الآخر حياً ولكن أين هو ؟!

هـل يعلـم بوجـودي ؟! هـل يعلـم بمـوت أمـه ؟! هـل يتذكرنـا ؟!

وصلنـا أمـام ذلـك الكافيـه، وأتـى محسـن فى عُجالـة عـلى غـير عادتـه

وكان محسـن يعلـم كل شـئ ولكـن صُـدم عندمـا أخبرتـه أن أخـى مـازال عـلى قيـد الحيـاة، ابتـدت المـرأة بالتحـدث فى هـدوء قائلـة :

– بـص بقـى انـا سـت كبـيرة وهقولـك عـلى كل حاجـة وهقولـك الحقيقـة بـس تسـبنى بعدهـا وتـروح لأخـوك وتسـبونى فى حـالى .

نظـرت لهـا وأردت قتلهـا ولكـن بعـد أن أسـتمع لـكل مـا لديهـا مـن معلومـات، ولكـن أغضبـى أننـى لم أسـتطع التحـلى بالحكمـة فتفوهـت بكلـمات مهـددة وقلـت :

- أسيبك ؟! ده أنا هقتلك .

- يبقى أنا كده مش هتكلم ومش هقول حاجة .

أبتسم لها محسن إبتسامة هادئة ونظر لها نظرة مرعبة ..

ومسـك بيدهـا وأنتـزع مـن حجابهـا «دبـوس» ونظـر لهـا وقـال فى عنـف :

- هاااااا

نظـرت لـه بسـخرية، وكأنهـا تريـد أن تقـول لـه «هـل أنـا طفلـة تخيفهـا بحيلـة كهـذه ؟!»

وضـع محسـن ذلـك «الدبـوس» دون جـدوى تحـت أظافـر إصبعهـا وضغـط عليـه ضغطـة خفيفـة فـكان صراخهـا مدوياً :

- اااااااه .. حرام عليك أنا ست كبيرة .

لفـت صراخهـا إنتبـاه المـارة ،فقـال لهـم محسـن بإبتسـامة مصطنعــة:

- لا مفيش حاجة الحاجة بس تعبانة شوية .

- طب نساعدك فحاجة .

- تسلموا رايحين بيها المستشفى حالاً .

لا أعلم من أين أتى بهذه الطريقة فى التعذيب ولكن أعلم أنها من طرق العذاب الأقوى فى العالم .. وألمها يصل إلى المخ مباشرة .

نظر لها محسن بقوة وقال فى عنف :

- إنطقى .

- طيب حاضر .. بإختصار كده أنا كنت بخطف العيال الصغيرة وأبيع أعضائهم، والكلام دا كان زمان وأنا توبت دلوقتى .....

رد محسن قاطعاً كلامها :

- ملناش دعوة إختصرى !

وجهت كلامها لى وقالت :

- لما خطفت أخوك حسيت انه خسارة يتباع ..

فقررت إنى افهمه أن أنا أمه وأن أبوك ده متجوزنى و مرضيش يخليكم تعيشوا معايا وإن أمكم دى ست ظالمة بعد كدة أتعرفت وكان مطلوب القبض عليا ،، فكنت هسافر

بـره البلـد أنـا وأخـوك عـلى مركـب «هجـرة غـير شرعيـة» ومعرفنـاش، فرجعـت عـلى هنـا فى القاهـرة وبقيـت زى مانـت شـايفنى كـده ....

قاطعت كلامها فى إستجواب :

- المهم أخويا فين دلوقتى ؟!

- هقولـك بـس أوعدنـى أنـك هتسـبنى .. وأنـك مـش هتعمـلى أى حاجـة قاطعتهـا هـذه المـرة فى غضـب وقلـت :

- إنطقـى قوليـلى هـو فـين عشـان مقومـش أقتلـك، قوليـلى عنوانـه وأنـا مـش عايـز منـك حاجـة تانـى وهسـيبك تغـورى فداهيـة .

كان إنفعـالى كبـير برغـم أننـى أخـذت الحبـوب المهدئـة منـذ قليـل ..

هـل أصبحـت لا اتأثـر بهـا ؟! هـل جسـدى إعتـاد عليهـا ؟! هـل اصبحـت مدمنـاً لهـا ؟!

ويجـب أن أتنـاول جرعـات أكـبر مـن المعتـاد ؟ أم أتجـه لنـوع أخـر مـن الحبـوب المهدئـة ؟!

فى كثـير مـن الأحيـان الحـزن يكـون منطقيـاً جـداً ولكـن أصبحـت لا أسـتطيع تحملـه ..

فهذا الحزن سيقتلنى !

كانت يداى ترتعشان فى إهتزاز ملحوظ ..

رأت المرأة هذا فشعرت أننى ارتجف خوفاً ولكن هذه ليست الحقيقة فأنا أعتدت على ذلك لا أكترث لأى شىء، لا أهاب شىء ..

ولكن عند سماع أن أخى على قيد الحياة أصبحت أنا الخوف أصبح القلق جزءاً منى يتغذى على جسدى النحيل . فالآن أصبح هناك شيئاً أخاف عليه ..

هناك شئ يحظى إهتمامى فى تلك الدنيا ..

«فنحن نعلم الكثير من الحقائق ولكن فى أوقات متأخرة جداً»

قامت بإفراغ حقيبتها أمامها وبحثت عن قلم ومسكت بورقة وكتبت عنوان وفى نهاية العنوان «الإسكندرية» .

إنتزعت الورقة من يدها بقوة وقلت لمحسن أن يسلمها للشرطة ويتحفظوا عليها حتى أصل إلى أخى، ركضت مسرعاً إلى بيتى ودخلت غرفتى المظلمة «النتنة» نظرت لها فى تأمل وشعرت أن الحياة ستبتسم لى مرة أخرى ..

***

ولكــن هــذه المواجهــة لا أســتطيع مواجهتهــا بمفــردى جلســت عـلى الأريكـة وأشـعلت سـيجارة و أمسـكت الهاتف ..

وطلبـت «ريحانـة» وكان الوقـت متأخـر جـداً لا أعلـم أيـن هـى الآن ! ولكـن ظـل الهاتـف يـرن وكأننـى أسـمع نبضـات قلبـى ثـم ردت قائلـة :

- أيوة يا أحمد ! ايه انت كويس ؟!

- أه بس عايز أحكيلك حاجة .

وبعـد أن رويـت لهـا ماحـدث قالـت دون تـردد أنهـا سـتأتى معـى ..

وأنهـا سـتنهى عملهـا قريبـاً، كانـت السـاعة ١٢:٣٠ بعـد منتصـف الليـل ..

هـل أحبتنـى إلى هـذة الدرجـة أتؤمـن بـى إلى هـذا القـدر؟!، ومـا الـذى أعجبهـا بـى ؟!

هـل هـي طبيعتـى وأننـى غـير متكلفـاً أم هـذا وهـم وهـى لا تشـعر سـوى أن تريـد مسـاعدتى عوضـاً عـن الحـادث ؟

أخبرتها أننى سأنتظرها ..

وسـأجلس الآن أدون كل ماحـدث منـذ أيـام حتـى الآن فى أوراقـى ،،

جلست أكتُب فى أوراقى كل ماحدث وأشعلت سيجارة تلو الأخرى

كان «Welson» جالساً بجوارى داخل الغرفة لا يتحرك وكأنه يريد أن يودعنى ويشبع من رائحتى وأنه يعلم أننى سأغادر اليوم

كان القرار سريع ومفاجئ ولكن لدى شعور أننى على صواب .

بعد مرور بعض من الوقت والانتهاء من تدوين كل ما حدث فى الأوراق نظرت إلى الساعة ٢:٢٢ بعد منتصف الليل !!

فضحكت كثيراً، ماذا تريد أن تخبرنى هذه المرة ؟!

أمسكت بهاتفى وكتبت فى البحث على موقع «جوجل» ما هو سر ظهور أرقام ٢٢٢ ؟

كانت العبارات كثيرة ومزدحمة ولكن فى سطر من السطور ظهر ما أريده فقرأته بصوت عالى :

- ٢٢٢ هذة السلسة هى إشارة تأكيد بأنك على الطريق الصحيح وبأنك تسلك الدرب الصحيح وتقوم بالعمل المناسب وتتجه فى الاتجاه الصحيح، كما تعنى بداية دورة

جديـدة، تتحـدد طبيعتهـا بنـاءً عـلى السلسـلة التاليـة التـى تراهـا والأفـكار المزروعـة حديثـاً بهـا .. إسـتمر فى تغذيتهـا والإهتـمام بهـا ويومـاً مـا سـتراها تُثمـر، إسـتمر فى العمـل الجيـد ولا تستسـلم .. إسـتمر فى الإحتفـاظ بالأفـكار الإيجابيـة والتأكيـد عليهـا والتخيـل .

نظرت إلى ما اقرأ وقلت بصوت عالى :

- دى علامة .

ثـم أكملـت مـا اقـرأ بـدون صـوت، وكان مكتـوب بعـد ذلـك :

أفـكارك تتوافـق مـع الحقيقـة وهـو تأكيـد بـأن الأفـكار صحيحـة مثـلاً إذا كنـت تفكـر فى تـرك وظيفتـك وتتخيـل مـاذا تريـد أن تفعـل بـدلاً عـن ذلـك فسـتتلقى ٢٢٢ كتأكيـد عـلى الأفـكار التـى تقـوم بموازنتهـا مـع هدفـك ورسـالتك فى الحيـاة هـو تاكيـد بـأن أفـكارك الحديثـة هـى عـلى الطريـق الصحيـح وبأنـه يجـب أن تقـوم بالخطـوة المقبلـة .

تحمسـت بعـد أن قـرأت هـذا الـكلام، جمعـت كل مـا لـدى فى حقيبـة تـكاد تنفجـر مـن مـا وضعتـه بهـا وهممـت بالرحيـل.

تلقيـت مكالمـة هاتفيـة مـن «ريحانـة» بأنهـا تنتظرنـى فى الأسـفل، ركضـت مسرعـاً وعنـد خروجـى مـن بوابـة العـمارة

ورأيتهــا بجــوار ســيارتها مشــعلة ســيجارة، إبتســمت لهــا متســـائلاً :

- إنتى جبتى عربيتك ليه ؟! إحنا هنسافر بالقطر .

- ليه يعنى ما العربية أهى !!

-لا هنســافر قطــر أحســن .. تعــالى إركنيهــا فى جــراج هنــا حلــو .

- طيب يلا .

***

بعــد إن إنتهينــا مــن أمــر الســيارة، حملــت الحقيبــة عــلى ظهــرى أمــا هــى فكانــت تلبــس ملابــس رياضيــة عــلى غــير عادتهــا ..

نظـرت لهـا فى إعجـاب ملحـوظ .. لاحظـت هـى ولم تعلـق أو تسـألنى قمنـا بالسـير إلى محطـة رمسـيس، كان الجـو هادئـاً والهـواء يدخـل رئتـاى لينظفهـا مـن شـدة نقـاؤه ..لا أحتـاج الآن سـوى التنفـس ببطـء والاسـتمتاع بالهـواء ..س

كانـت تسـير مثـل المُهـرة بجانبـى وكأننـى فارسـها، ثـم دار بذهنـى سـؤال ..

لم أتــت معــى هــل تريــد مســاعدتى هــل إرتاحــت لى ؟
هــل تــرى أننــى شــخص جيــد إلى ذلــك الحــد وأننــى أتحــدث بشــفافية معهــا ؟!

كانــت تتحــدث طــول الطريــق عــن عملهــا وتحــاول أن تُخرجنــى مــن توتــرى وتفكــيرى فيــما سأجده هنــاك عنــد لقــاء أخــى ..

وصلنــا إلى داخــل المحطــة وكان المــكان هادئــاً جــداً وقفــت «ريحانــة» منتظــرة وذهبــتُ لإحضــار التذاكــر ..

إشــتريت تذكرتــان وأتجهنــا إلى القطــار، جلســنا فى المقاعــد المخصصــة لنــا، ووضعــت حقيبتــى عــلى رجليهــا ..

مما أثار تعجبها و سألتنى قائلة :

- ده ليه كدة ؟!

- مــش انتــى بتحبــى تحضنــى حاجــة وأنتــى نايمــة ،خــدى الشــنطة احضنيهــا وبعديــن دى فيهــا فلــوس .

- ههههههه طيب .

مســكت بيــدى وقالــت بعينيهــا أنهــا معــى ولــن تتخــل عنــى أو تتركنــى أبــداً ..

ثم أخرجت أوراقى من الحقيبة ودونت كل ما حدث.. ووضعت الأوراق مرة أخرى فى الحقيبة .. ولكنها كانت قد نامت .

استيقظت على صوت رجل يطلب منى أن يجلس بجوارى :

- لو سمحت .

انتزعت نظارة العين القماشية من على عين واحدة وقلت له فى إستياء :

- نعم ؟

- ممكن أقعد جنبك ؟

نظرت بجانبى ولكن لا أرى سوى الحقيبة، والمكان فارغاً ..

أين ذهبت ريحانة ؟!

أعدت النظر مرة أخرى إلى ذلك الرجل وقلت له فى حسم :

- لا فى واحدة معايا هنا .. «فى الحمام» .

- أوك .. أنا أسف .

لم تمر ثوان حتى أتت ريحانة مبتسمة وقالت :

– انت صحيت ؟

– أه .. كنتى فين ؟!

– كنت بشرب سيجارة .. إيه مالك كده ؟!

– كان فى واحد عايز ياخد كرسيكى !!

– امممممم .. وأنت ما صدقت ولا ايه ؟!

– هههههههه .. أكيد لا .

– ههههههه .. ماشى يا سيدى .

***

وصـل القطـار محطـة الإسـكندرية وكانـت السـاعة إقتربـت مـن ٧:٠٠ صباحـاً، كانـت الشـمس هادئـة لأول مـرة أراهـا هكـذا تحتضنهـا مجموعـة مـن السـحب و الهـواء النقـى الـذى يميـل إلى الـبرودة المُنعشـة التـى تسـللت داخـل ملابسـى ..

أوقفنـا سـيارة أجـرة وذهبنـا إلى فنـدق بجـوار العنـوان الـذى كتبتـه تلـك المـرأة ..

أتفقـت معـى ريحانـة أنهـا سـتقيم مـع أقاربهـا وأننـا سـنلتقى فى الليـل ..

وصلت إلى فندق بجوار فندق أخى الذى يقيم به.

حجـزت غرفـة وجلسـت بهـا ثـم أسـتلقيت عـلى السريـر قليـلاً ولم أشـعر إلا عندمـا رن الهاتـف الساعة ٦:٣٠ مسـاءاً ..

إسـتيقظت وانـا أتـألم مـن تعـب شـديد فى ظهـرى ومسـكت الهاتـف وكان «محسـن» :

– ايوة .

– ها عملت ايه ؟! طمنى .

– جيت نمت ولسة صاحى أهو .

– طيب يلا إنزل شوف بقى إيه الأخبار .

– طيب عملت إيه مع الست ؟!

– سـلمتها وقلتلهـم كل حاجـة، وهمـا هيتحـروا عنهـا وهنشـوف بقـى هيعملـوا ايـه معاهـا .

– طيب تمام .

أرتديـت ملابـس جديـدة وتأهبـت للنـزول، خرجـت خـارج مبنـى الفنـدق وجلسـت فى مطعـم بجـواره لأتنـاول وجبـة سريعـة كعادتـى ..

وبعد أن إنتهيت أشعلت سيجارة مترقباً فندق أخى من بعيد ربما أراه داخل او خارج ذلك المبنى .. كنت متوتراً جداً منذ وقت طويل لم أقلق بشأن شئ هكذا ،فقطرات العرق كانت تتصبب من جبينى رغم برودة الجو ..

نظرت إلى نيران السيجارة واطفئتها فى يدى من الداخل وتألمت كثير ولكننى لم أبال .. فأنا أريد التخلص من الآلام النفسية التى زُرعت بداخلى منذ سنوات ..

«فألم الجسد هو الراحة المؤقتة من ألم الروح»

كان يمر الوقت ولابد أن أتحرك، إتجهت الى فندق أخى وأتجهت إلى موظف الاستقبال ووقفت أمامه وقبل أن أتحدث فاجئنى بردة فعل وقال مندهشاً :

- ايه ده ؟! أنت مش قلت إنك مسافر أسبوع وراجع!! إيه اللى رجعك بدرى كدة ؟! مكملتش ٤ أيام .

ابتسمت إبتسامة مزيفة لا أعلم ماذا سأقول له وقبل أن أنطق بكلمة واحدة قاطعنى متسائلاً:

- هو أنت كويس ؟! مالك مرهق كده ليه وشكلك مش طبيعى ودقنك طويلة !!

رددت عليه قائلاً :

- أنااااا...

لم أكُمل ما أقوله، قاطعنى مرة أخرى قائلاً :

- طيب خد المفاتيح أهى وأطلع إرتاح وبعدين نتكلم .

إبتسمت له شاكراً .. كم أنت أبله، كيف تعطينى المفاتيح هكذا ؟!

هل التشابه بيننا كبير إلى هذا الحد ؟!

كانت فرصة لى أن أدخل غرفته وأتعرف على حياته وماذا يفعل بها ؟! دخلت الغرفة وكانت غير مرتبة وملابسه فى أرجاء المكان، وبعض الملابس النسائية، وزجاجات من الخمر، أغلقت باب الغرفة خلفى ..

كان نظرى منجذب إلى شئ واحد فقط ..

أورق متناثرة فوق بعضها وفوقها لوحة خشبية بها صورة، إقتربت منها ثم أمسكتها و تفاجئت بصورة أخى محمد يشبهنى كثيراً حقاً ..

أين كنت يا أخى ؟! كم أفتقدتك كثيراً !!

هل تتذكرنى أم لديك ما يكفى من أشخاص ؟! وأين أنت الآن ؟!

جلسـت عـلى كرسـى وأضئـت مصباحـاً بجانبـى ثـم وضعـت الصـورة مـرة أخـرى مكانهـا وأمسـكت بـالأوراق وقلبتهـا .. حتـى رأيـت مـالم أتخيلُـه، إنهـا مذكـرات أخـى، لم قـرر الآن كتابتهـا؟! هـل يفكـر بنـا الآن هـل يبحـث عنـا ؟!

أخـذت أقـرأ الصفحـات الأولى ،كان يتحـدث عـن أبـى ولحظـات الصيـد عندمـا كنـا صغـاراً، ويذكُرنـى أيضـاً عندمـا كنـا نلعـب معـاً أنـا وأختـى «ثريـا» ..

ولكـن لم يذكُـر أمـى بكلمـة هـل كان لا يحبهـا بعـد أن سـمع مـا قالتـه لـه تلـك المـرأة الحقـيرة عنهـا ؟!

كنـت أعـبُر بـين السـطور وأركـض خلـف الصفحـات وكأننـى أبحـث عـن الحقيقـة عـن شـئ لا يعلمـه إلا الله وأخـى وتلـك المـرأة فقـط ..

هـل هـو يكتـب حقـاً أم شـعر أن لحياتـه أهميـة و سر يجـب أن يدونـه ؟! مثلـما شـعرت أنـا .. كان أسـلوبه فى الكتابـة شـبيهاً لى ولكـن عمـق كلماتـه أقـل منـى قليـلاً ..

بعدمـا شرح فى الصفحـات الأولى عـن خطفـه وأنـه قـضى وقتـاً طويـلاً مـع إمـرأة تسـمى « صفيـة « أدعـت أنهـا أمـه ولكنـه علـم ذلـك فى وقتـاً متاخـراً جـداً ..

وأنـه كان لا يعلـم عنهـا شـئ حتـى قـرأ عنهـا فى الجرائـد يومـاً أنهـا «تتاجـر فى أعضـاء الاطفـال».

قاطعنـى مـا اقـرأه صـوت طـرق البـاب الشـديد .. هـل فُضـح امـرى ؟! فقلـت بهـدوء :

- مين ؟

قلتهـا وأنـا أضـع أذُنـى عـلى البـاب، ثـم فتحـت البـاب لأرى رجـل عجـوز يتجـاوز السـبعين مـن عمـره وهـو يقـف أمامـى منحنـى الظهـر قائـلاً :

- هو مش دى أوضة رامى ؟

نظرت له بإبتسامة صافية وقلت له :

-لا يا فندم حضرتك غلطان .. مش هى .

- شكراً يا أبنى .

أغلقـت البـاب خلفـه ثـم أسـتعدت الأوراق مـرة أخـرى وأشـعلت سـيجارة حتـى اتأمـل مـا كتبـه أخـى فى دقـة .. ثـم قـرأت فى هـذه الصفحـة التى تبدو مُثـيرة وكانت كلماتـه كالآتى :

كان عمـرى فى هـذا الوقـت سـتة عـشر عامـاً، وكانـت لى أم مُزيفـة خدعتنـى لوقـت طويـل وعشـت معهـا عـلى أنهـا أمـى الحقيقيـة، ولم أشـك للحظـة فى تعاملهـا معـى، فهـى كانـت

تحـاول دائـما أن تكفـر عـن ذنـب سرقـة الاطفـال و التجـارة بأعضائهـم، ولكـن سرعـان مـا حـل بنـا الفقـر .. فترجـع إلى الخلـف لتعمـل لـدى عصابـة تجـارة الأعضـاء البشريـة ولكـن كُشـف أمرهـم يومـاً مـا وكانـت الكارثـة ..

كانـت حياتنـا فى هـذة الفـترة مسـتقرة إلى حـداً مـا بعـد أن إنتقلنـا الى القاهـرة ..

ويومـاً مـا رأيـت أمـى أمـام وجهـى تـصرخ وتحـاول إيقاظى مـن نومـى قائلة :

- محمد !! أصحى إحنا لازم نمشى دلوقتى .

لم أفهم ما قالته !!

كانـت أسـئلتى حينهـا، إلى ايـن سـنتجه ؟!، ولماذا سـنغادر؟! ولكنهـا لم تجـب، لا تهتـم إلا لشـئ واحـد وهـو المغـادرة سريعاً، تتحـدث إلى شـخص يسـمى «مصطفـى قنديل» طـوال الوقت ..

هـو شـخص تعمـل لحسـابه وتقـضى لـه مـا يريـد مـن أطفـال وأعضـاء بشريـة .

***

وصلـت لنـا سـيارة وبهـا شـخصان لم أراهـم مـن قبـل صعدنـا إلى السـيارة وأنطلقـت مسرعـة، لم يكـن

الوقـت كافيـاً حتـى أجمـع مـا أمتلـك مـن أغـراض ..

كنـت لا أعلـم إلى أيـن سـنتجه ولمـاذا ؟! كان النعـاس يطاردنـى طـوال الطريـق..

أغمضـت عينـاى فى نعـاس حقيقـى إسـتغرق سـاعات مـن الوقـت ثـم أسـتيقظت عـلى كلـمات تعنـى أننـا قـد وصلنـا إلى «السـلوم» .

كان قـد مـر مـن الوقـت الكثـير دون أن أشـعر، إسـتقبلنا «قنديـل» وضرب عـلى كتفـى بضربـة مفاداهـا أن أتماسـك وكان هنـاك أشـخاص يحملـون الحقائـب منتظريـن، وينظـرون لى فى حـزن ..

يريـدون طـرح بعـض الأسـئلة السـخيفة لى .. لمـاذا أتيـت إلى هنـا وإلى أيـن تغـادر وأنـت صغـير هكـذا ؟!

كان القلـق فى أعينهـم جميعـاً ينتفضـون خوفـاً وبـرداً، نظـر لى «قنديـل» ونظـر إلى أمـى وقـال مودعـاً لهـا :

- أول ما توصلوا هيبقى أنتوا كده فى أمان .

نظرت له أمى فى قلق وقالت :

- أنت مش هتيجى معانا ؟!

- لا أنا هحصلكوا .

- مستنياك .

قام بتسليمنا إلى رجلان ومعهم شاب فى العشرينيات كان يبدو من ملامحهم وهيئة ملابسهم أنهم « بدو »، بعد الإنتهاء من جمع الأموال من الاشخاص المنتظرين ..

قام الرجلان بتوجيه بعض التعليمات لنا فى حسم وقوة وأن لا نخالف أوامر ذلك الشاب الصغير وإلا قد يُفضح أمرنا، وقاموا بالمغادرة بعد ذلك ..

جلسنا فى غرفة خشبية كان العدد يتراوح ما بين ثلاثون و أربعون شخصاً بين رجال ونساء وكانت هناك إمرأة سودانية لديها طفل صغير تحمله بذراعيها عمره أربعة أشهر تقريباً وجسدها نحيل لا تحمل حقائب،فقط كانت تربط خصرها بقماش تحمل بداخله أشياء لا أعرف ماهيتها؟!!

إنتظرنا حتى غروب الشمس

ثم قال لنا هذا الشاب فى حسم :

- استعدوا عشان هنتحرك بعد العشا.

كنت لا أعلم كيف سنغادر خارج البلاد لا أرى سفن أو سيارات كان قلبى يمتص القلق بداخله حين أشعر أن ساعة الإنطلاق قد إقتربت ..

أتى هذا الشاب بعد ساعة تقريباً وقال لنا فى حماس :

– يلا همو همو فسيع .

علمـت بعدهـا ان كلمـت «فسـيع» تعنـى تحـرك فى عُجالـة أو بسرعـة ..

نظـرت لـه فى خـوف وتأهبـت أنـا وأمـى، فقـال شـئ مفـاده أن نقـف جميعـاً خلـف بعـض وأن نلتـزم بالسـير فى خـط واحـد لا ينحـرف أحـداً عنـه ..

كانــت كلماتــه غــير مفهومــة ولكــن كان ينطــق بكلمــة « قطــار» كثـيراً وكأنــه يريــد أن يخبرنــا أن نتحــرك كالقطــار فى ترابـط وتماسـك ولا أحـد يغـادر الطريـق الـذى سـينطلق بـه ونحــن خلفــه ..

فكانـت عصابـات الهجـرة الغـير شرعيـة تعمـل بإحـتراف، فهنـاك مـن ينجـح وهنـاك مـن يسـقط فى أيـدى أجهـزة الأمـن وأجهـزة الهجـرة الغـير شرعيـة وأجهـزة المخابـرات ..

كنـت لا أعلـم فى هـذا الوقـت إلا أجهـزة الشرطـة و الجيش .

قـام هـذا الشـاب بربـط قطعـة مـن القـماش عـلى أنفـه وفمـه وأخبرنـا أن نفعـل مـا يفعلـه تمامـاً .

حتى الآن لا أعلم ما سنفعله ؟

كنت أظن أن هناك أحداً سيأتى ليقلنا إلى هناك، لم أتوقع أننا سنركض كل هذه المسافة ..

كان السير بطئ وكان الجميع يلتزم بالتعليمات نسير خلف بعضنا على خط واحد وبعد مرور بضعة من الوقت، نظر لنا ذلك الشاب وأشار بأن نتبعه .. ثم بعد تلك الإشارة لم أره، كان سريعاً جداً ركض بقوة فى خفة لا مثيل لها فكان نحيلاً جداً لا أحد يسطيع الإمساك به إلا فهد جائع يريد أن يفترس لحمه ..

ركض الجميع خلفه محاولين اللحاق به وكانوا متناثرين فالكل يركض حتى لا يقع ضحية الضباع بالصحراء ..

كان الليل مخيف لا نرى سوى ضوء القمر ونرى بعضنا أشباح كان الجميع يركض بسرعة كبيرة وكأننا نعتقد أن نهاية المطاف قد إقتربت ..

حتى تلك المرأة السودانية كانت تركض بخفة كبيرة.. توقف هذا الشاب بعد وقتاً ما وجلس نصف جلسة يترقبنا حتى وصلنا له .. أشار لنا أن نجلس مثله فى نصف جلسة لكى نلتقط أنفاسنا ثم نُكمل الطريق بعد ذلك على ذلك النحو ..

كنـا نلهـث بشـدة ولكـن لا نسـتطيع التوقـف، فالتوقـف هنـا يعنـى الضيـاع والموت فى الصحـراء ولا يكـترث إلى أمـرك أحـداً حتـى تصبـح جثـة عفنـة يأكلهـا الحيوانـات ..

ظللنـا عـلى ذلـك النحـو بضعـة سـاعات، نأخـذ قسـط مـن الراحـة ثـم نعود للإنطـلاق مجـدداً .. كان عقلى يعـترض على كل مـا يحـدث لم أهرب خلسـة من بلـدى وأنـا لم أفعل شـئ أخافه ؟!

جلسـنا لنأخـذ قسـطاً مـن الراحـة قليـلاً وقـام شـاب أسـمر فى منتصـف العشرينـات بإخـراج لفافـة تبـغ صغـيرة ثـم أشـعلها وجلـس يلتقـط منهـا أنفاسـاً سريعـة ..

أتـى الشـاب « البـدوى « مسرعـاً وقـام بإطفائهـا فى وجهـه واضعـاً يـده عـلى فمـه بنظـرة مريبـة شـعرت أنـه سـيقتله ثـم قـال :

- جفل جفل !!

ثـم تناثـرت منـه بعـض الكلـمات التـى تعنـى أن هـذا ممنـوع وأن مـن الممكـن أن ينفضـح أمرنـا بسـهولة ..

بعـد أن قـام الجميـع بإلتقـاط أنفاسـهم وتنـاول بعـض الميـاه والوجبـات السريعـة، وقفنـا مـرة أخـرى كقطـار وركضنـا خلـف ذلـك الشـاب .

لم تمـر سـوى دقائـق وكانـت الكشـافات الضوئيـة بأعيننـا ثلاثـة سـيارات كبـيرة تسـير بسرعـة كبـيرة نحونـا، سـيارتان يقفـان فوقهـا رجـلان بأسـلحة آليـة، ويطلقـون بعـض الطلقـات العشـوائية بإتجـاه السـماء ويقولـون بعـض الكلـمات بصـوت صـارم مثـل :

- أرقد .. أرقد مكانك !!

نظـرت إليهـم وأتسـعت عينـاى خوفـاً، كان قلبـى يخفـق بشـدة ..

من أين أتوا ؟!

وهل كشف أمرنا بتلك السهولة و سنُزج إلى السجن ؟!

برغـم الحـيرة وهـذه التسـاؤلات الكثـيرة، كنـت سـعيد لفشـل خطـة الهـروب .. فأنـا لم أسـتطع إلتقـاط أنفاسـى ولا أريـد ان أهـرب خلسـة مـن بلـدى دون ذنـب..

جلـس الجميـع فى نصـف جلسـة مستسـلمين، أمـا أنـا فقمـت بالنـوم عـلى وجهـى مـن شـدة التعـب ..

أمـر رجـل مـن رجـال المخابـرات الجنـود أن يلقوا بنـا داخل السـيارة الكبـيرة ويتـم ضغطنـا بهـا جميعـاً .. مـن أيـن ظهـروا وكيـف أكتشـفوا أمرنـا، إنتقلنـا إلى كتيبـة تبعـد عـن المـكان

الـذى أُلقـى القبـض علينـا بـه ب ٥ كيلوأمتـار تقريبـاً، حققـوا معنـا جميعـاً حتـى الصبـاح وكانـوا يكتبـون أسـمائنا بأجهـزة الحاسـب الآلى ويتحـرون عنـا جميعـاً وعنـد الوصـول إلى أمـى كان قلبهـا يخفـق بشـدة لقـد فُضـح أمرهـا وسـتُلقى فى السـجن مـا تبقـى مـن عمرهـا .

نظـر الضابـط الـذى يتحـرى عنهـا للحاسـب ثـم اسـتعاد النظـر إليهـا وقـال فى صرامـة :

- إمضى هنا إنك مش هتيجى على الحدود تانى .

كانـت تلـك الجملـة المعتـادة التـى نسـمعها طـوال الوقـت للأشـخاص الغـير مسـجلين بأحـكام قضائيـة، فرحـت أمـى فى صمـت ولكـن إبتسـامتها الخفيفـة فضحـت أمرهـا لـدى وزاد يقينـى أنهـا مرتكبـة جرائـم وتحـاول إخفـاء ذلـك عنـى، ولكـن أنـا أيضـاً كنـت سـعيد، جـاء رجـلان مـن الجنـود وأخـذوا أشـخاص كثـير لديهـم أحـكام جنائيـة مـن جانبـى وقامـوا بحملهـم داخـل سـيارة، أمـا نحـن فصعدنـا داخـل سـيارة أخـرى وإتجهـوا بنـا نحـو مـكان لا نعلـم عنـه شـئ، وبعـد ربـع سـاعة تقريبـاً ..

توقفـت السـيارة وهبطنـا منهـا كشـلال مـن الأجسـام المتلاحمـة، وقفنـا خلـف بعضنـا ثـم تحركنـا إلى داخـل سـجن

تحـت الأرض .. لم أتخيـل أبـداً أن هنـاك سـجن بداخـل هـذه الرمـال، وكانـت تسـتقبلنا بوابـة ضخمـة لم أرى مثلهـا بحياتـى أضخـم مـن بـاب خزانـة البنـوك ..

دفعونــا بداخــل ذلــك الســجن الصغــير مقارنــة بعــدد الموجوديـن قـام جنـدى بجمـع جميـع أغراضنـا وخـرج، ثـم أغلقـوا البوابـة المتينـة التـى لا يمكـن لأحـد الهـرب منهـا أبـداً .

قضينا ثلاثة أيام لا نعلم عن الحياة شيئاً..

لا نرى أحداً سوى الجنود عند تقديمهم الطعام لنا ..

لا نـرى أضـواء سـوى نـور خافـض يأتـى مـن نافـذة البـاب العتيـق ..

لا نعلـم صبـاح مــن مســاء، فكنــت أشــعر أن الحيــاة قــد إنتهـت وأن هــذا القــبر ســنموت بــه جميعــاً .

***

فى نهايـة اليـوم الثالـث أتـى إلينـا جنـدى وأمرنـا بـأن نسـتعد للعـرض عـلى قائـد فى جهـاز أمنـى ..

كنـت لا أشـعر بالزمـن نأكل وننـام ثم نسـتيقظ للتبـول وننام مـرة أخـرى، خرجنـا خلـف ذلـك الجنـدى صـف واحـد ..

ظهـر ضـوء الشـمس، فصُدمـت مـن ذلـك النـور كنـت أشـعر أننـا ليـلاً وليـس بالصبـاح كانـت السـاعة ٢:٣٠ ظهـراً ..

قفـزت دموعـى خـارج عينـى .. كيـف لم أشـعر أنـا أو أى شـخص داخـل الغرفـة بأننـا فى الصبـاح ؟!

وأشـعة الشـمس كانـت حارقـة تمطـر السـماء حـرارة وتنبـت الأرض نـاراً وقفنـا جميعـاً عـلى أسـفلت الطريـق فى صحـراء لا يظهـر لهـا معـالم ولا أول ولا آخـر ..

وقفنـا فى طابورعـرض ووقفـت خلـف أمـى محـاولاً الاختبـاء مـن أشـعة الشـمس الحارقـة وكان حذائـى ينصهـر مـن حـرارة الأسـفلت ..

أتـى رجـل مـن رجـال الجهـاز الأمنى بنظـارة فخمـة وقـال فى حسـم :

- أرقد .. أقعد على الأرض لحد ما القائد يجى .

جلـس الجميـع وكان هنـاك رجـل فـلاح أمـام أمـى لديـه شـال يربطـه عـلى عنقـه، قـام بخلعـه ووضعـه تحـت مؤخرتـه وجلـس عليـه كان رجـل الأمـن ينظـر لـه مـن وراء نظارتـه السـوداء فى خلسـة ..

أتـى إليـه وقـام بركلـه فى مؤخرتـه بعنف وقـال له فى حسـم :

- متحطش حاجة تحتك، أقعد على الارض .

- يا بيه الأسفلت مولع مش قادر.

- قولتلك أقعد.

كان الجميـع يتـألم مـن حـرارة الأسـفلت ولكنـه يجلس رغـماً عنـه وقـد كانـت مؤخرتـى على وشـك الإنصهـار ولكـن أنقدنى الرجـل عندمـا نظـر لى وأشـار لى أن أأتـى، وعنـد وصـولى لـه قـال لى أن أنتظـر تحـت بداخـل غرفـة السـجن ..

تركـت أمـى مطيعـاً لأوامـره ولم أر أو أسـمع شـئ كالـذى فعلـه بـى مـن ذل و مهانـة .

وهـذا آخـر مـا كتبـه أخـى عـن حياتـه وتـرك الأوراق جانباً، لمـاذا توقـف وأيـن هـو الآن ومـاذا يفعـل .. هـل يبحـث عـن أهلـه ؟ هـل يبحـث عنـى هـل يعلـم شـئ عنـا ؟!

فتحـت النافـذة المطلـة عـلى البحـر وأشـعلت سـيجارة أفكـر فى المعانـاه القاسـية التـى تعـرض لهـا أخـى فى صغـره .

***

صبـاح اليـوم التـالى شـخصاً مـا يطـرق عـلى البـاب فى هدوء منتظـراً أن أسـتيقظ، نظـرت إلى السـاعة كانـت ١:٣٠ ظهراً ..

فتحت الباب فى حذر ..

كان شـاباً بيـده طعـام فى كيس بلاسـتك كبـير، أعطانـى إيـاه فى إبتسـامة عريضـة قائـلاً :

- أستاذ محمد إتفضل الفطار .

ثــم غــادر مــن أمامــى دون أن أوجــه إليــه كلمــة واحــدة، كنـت أتضـور جوعـاً، جلسـت وأخرجـت الطعـام وتناولتـه ثـم أشـعلت سـيجارة وأنـا أشـاهد التلفـاز وهـواء البحـر يداعـب شـعيرات مـن رأسـى المتناثـر ..

برغم القلق كنت أشعر أن الحياة تبتسم من جديد .

***

مســاء ذلــك اليــوم الســاعة «٧:٣٠» أسـتعددت للنـزول لأحُـضر أغـراضى وأنتظـر فى غرفـة أخـى، ربطـت حذائـى وأنـا أجلـس عـلى حافـة السريـر ..

سـمعت صوتـاً يفتـح البـاب .. نظـرت إلى البـاب وأنـا امسـك برابـط الحـذاء منتظـراً أن يظهـر أحـداً مـن خلـف البـاب .. وكانـت المفاجـأة

«ظهـر أخـى» نظـرت إليـه وعلامـات الدهشـة عـلى وجهـه، إتسـعت عينـاه غـير مصدقـاً مـا يـراه .

أشار عامل الاستقبال وهو يقول :

- أهو .

قفـزت راكضاً نحـوه وأحتضنته بشـدة، كان ثابتـاً غير مصدق مـازال يشـبهنى كثـيراً ولكنـه أصبـح عنيفـاً أكثـر فى تعبـيرات وجهـه وزادت ملامحـه حـدة .. أحتضننـى وهـو يقـول فى لـوم :

- لسة فاكرنى ؟ لسه فاكر تدور عليا ؟!

- إحنـا كلنـا إفتكرنـاك ميـت .. بـس الحمـد لله إنـك عايـش يـا حبيبـى، أنـا مـش مصـدق إنـى شـايفك قدامـى يـا محمـد .

لم يـرد وتجاهـل مـا قولتـه محـاولاً أن يتماسـك وألا تفـر دمعـة مـن عينيـه، أشـار إلى الرجـلان اللـذان يقفـان خلفـه أن يطهـوا لنـا بعـض الطعـام ويأتـون بـه إلى البحـر لتنـاول العشـاء ..

نظـرت إلى ملابسـه وإلى معاملتـه مـع رجـال الفنـدق وعلمـت أن أخـى لابـد أنـه يمتلـك الكثـير مـن المـال ..

إبتسـم بصعوبـة وأشـار أن نغـادر الفنـدق ونتجـة إلى البحـر، وعنـد الخـروج كان هنـاك اشـخاص يتسـألون « هـل هـذا أخـاك» ؟!

لم يجـب أحـداً، لابـد أن أخـى مـازال يعامـل النـاس بقـوة وأنهـم حثالـة أو أن لديـه نفـوذ وثـروة يجعلـوه يفعـل ذلـك .

عبرنا الطريق ثم رأيت جلسة خاصة أمام البحر مباشرة على الرمال، جلسنا أمام بعضنا وكانت أنفاسه تشعر أى شخص بثقته بنفسه وقوة شخصيته أو بعدم مبالاته لأى شئ وكأنه فقد الإحساس .

يتعامل بعقله فقط وبحسم فى كل شئ، هل كانت حياته قاسية إلى هذا الحد ؟! هل علم أن أمى قد ماتت حزناً عليه ؟!

روى لى عن ما حدث بحياته القاسية من بينها قصص مؤلمة وغيرها مدهشة قرأتها بداخل أوراقه ثم قال لى وعلى شفتيه شبح إبتسامة :

- أنا قتلت واحد .. وهربان هنا دلوقتى .

- إيه ! قتلت ازاى يعنى ؟! ومين اللى قتلته ؟!

- واحد صعيدى إشترى مننا «كلى» أنا والست اللى أنت شوفتها دى وكانت مفهمانى إنها أمى، وبعد كده جه يطالبنا بالفلوس وهددنا أنه هيبلغ عنى أنا وأمى، قابلته علشان أرجعله فلوسه فى طريق قريب من الصحراوى .. إتهجم عليا علشان المبلغ ناقص طلعت الطبنجة وخلصت عليه فى ساعتها، علشان كده ماشى بيها على طول .

ثم أشار عليها بكل ثقة .. فقلت متعجباً :

- أيوة بس انت كدة قتلت !!

- لا .. أنا كنت بدافع عن نفسى .

- أنـت إزاى بقيـت كـده وايـه الجـبروت ده !! مـش خايـف مـن ربنـا ؟!

- عـلى فكـرة نسـيت أقولـك أنـا ألحـدت مرتـين وتوبـت، علاقتـى بربنـا محـدش يتدخـل فيهـا .. أنـا مؤمـن بربنـا مـش بقوانـين البـشر المتخلفـة دى .

- طيب ومش خايف يتقبض عليك ؟!

- أنا مبقاش ينفع أخاف .

إبتسم بعينين غامضتين لا أرى بهما إلا القوة ..

نظـرت إليـه غـير مصدقـاً، هـل هـذا أخـى قـد تحـول قلبـه إلى حجـر صلـب يملـؤه الجـبروت ..

كنا معاً نصلى ويتسائل عن الله دائماً ..

الآن لايخافـه لا يشـعر بوجـوده هـل القاتـل يخـرج مـن رحمـة الله حقاً؟

قاطع أفكارى وقال بهدوء:

- بص يا أحمد الظاهر أن أنت لسه عندك حتة كويسة ومتحلى بالإيمان حافظ على ده، لكن حياتى أنا أدرى بيها .. أنت جايز لما تشوفنى كده هتحس إنى غنى وناجح وعندى «بار» كمان جوه الفندق ده، والناس بتحبنى لكن أنت متعرفش الصراع اللى جوايا فى إتنين جوايا بيضربوا بعض، كل يوم واحد رافض اللى أنا فيه، وواحد ميقدرش يعيش غير كده، مش هيعيش ضعيف تانى ولايرجع لست جاحدة ضيعت عمره فى وهم وحرمته من أهله .

ثم أكمل قائلاً :

- أنا أول ماعرفت إنها مش أمى إتصدمت ودخلت فى حالة نفسية صعبة و بعد كده قررت أنى أخد منها كل فلوسها اللى معاها وأهرب هنا وأبتدى حياتى ..

- طيب وأنت ليه تبتديها كده ؟!

- عشان أنا عديت مرحلة الإختيار .

وساد الصمت قليلاً ثم نظرت له فى حنان قائلاً :

- بص يا محمد فى كتاب جميل لقسيس أسمه «إعترفات»

فيه عبارة بتقول « أنا لا أفهم نفسى « عقلى يرشدنى ألا أسرق وأرى نفسى مع أصدقائى نسرق أحد المحلات،

فأتسائل « من أنا» ؟! هل أنا اليد التى سرقت أم أنا العقل الرافض لهذا الجُرم ؟!

وما الذى جعل يدى تغلب عقلى، وأنا أعلم جيداً أن السرقة مُجرّمة قانوناً ومُحرّمة شرعاً ..

وده صراع موجود فى كل واحد فينا .. اللى عنده صراع مع السرقة، واللى عنده صراع مع شرب «المخدرات والمسكرات» أو صراع مع القتل، الزنا، أى ذنب كبير غيرهم .

والتحدى هنا مش إنك مش يبقى معاك فلوس أونفوذ وسُلطة .

التحدى أنك تحاول بقدر المستطاع توصل لمرحلة من السلام الداخلى .. تقدر من خلاله تجعل عقلك يقدر يتغلب على شهواتك وأنا عايزك توصل لكده ودايماً تركز على ده، أنا علشان عديت بمرحلة نفسية صعبة زيك بقولك كده .

كان رده حاسماً كعادته قائلاً :

– مبقاش ينفع .

قالها وصمت قليلاً ثم أشار بإصبعان إلى منتصف جبهته وقال :

- هنا مبقاش فى مكان لكلامك ده .

مينفعش أرجع لازم أفضل زى مانا، ألعب قمار وأهرب ممنوعات وأكسب فلوس كتيرة وأشرب، غير كده هموت، والصراع اللى جوايا ده هيقتلنى .

ياريتك ظهرت من بدرى .. ساعتها كان ممكن يبقى فى أمل .

إستخدام كلمة مفاجئة تقلب دفة الحوار كان هذا أسلوبى المعتاد ولكن تأثيره على أخى كان كبيراً، إمتلئت عيناه بالدموع كجوهرة تلمع فى الظلام وهو يحاول إخفاء ذلك حينما سألته :

- مش عايز تعرف أبوك وامك فين ؟ فاكرهم أصلاً ؟

قال وهو يحاول التماسك بصوت مبحوح :

- ماتوا ؟؟

- الله يرحمهم .. أمك حاولت تتماسك بعد ما أختفيت وإفتكرناك ميت بس للأسف دخلت فى حالة نفسية صعبة جداً ومرت بمراحل أصعب لحد ما وصلت لمرحلة رفضت فيها الحياة الدكتور قالنا إنها قررت تموت وهى على قيد الحياة، رفضت بعدها الكلام والأكل والشرب والحركة وده مرض نفسى أسمه العلمى «كتاتونيا» يعنى

«الجمـود»، وبعدهـا بسـنة ربنـا رحمهـا مـن العـذاب ده .

قفـزت قطـرة مـن عينـه رغـماً عنـه فى حـزن حقيقـى غـيرت ملامـح وجهـه وأكملـتُ قائـلاً :

- وبعدهـا أبـوك مـات فجـأة تقريبـاً مـن حزنـه الرهيـب عليهـا وعليـك وأنـا سـاعتها أسـودت الدنيـا فى وشـى وكنـت هجنـن عليهـم بـس كنـت صغـير ورغـم مـرور العمـر ده كلـه حزنـى عليهـم كان بيكـبر أكـتر. وعشـت أنـا وأختـك «ثريـا» سـنين مـن الألم والحـزن و بعـد كـده إتقدملهـا عريـس خدهـا وسـافر «كنـدا» ومشـفتهاش مـن سـاعتها وقبـل مـا تسـافر بيعنـا البيـت وخـدت نصيبهـا وسـافرت وأنـا نزلـت القاهـرة أتعلـم وأشـتغل ..

قاطعتنـى دموعـه التـى تحـررت مـن عينيـه، فحـاول التماسـك ومسـح دموعـة بيـده فى سرعـة .. وقـال وهـو يبتسـم :

- اكيد هنتقابل فى مكان تانى أحسن .

إبتسمت نصف إبتسامة وقلت :

- المهم أن أحنا دلوقتى مع بعض .

- أنت مبسوط أنك شوفتنى ورجعتلى ؟!

- طبعـاً .. دلوقتـى ممكـن أبطـل شرب وأبطـل مهدئـات وأدويـة الإكتئـاب الـلى باخدهـا مـن سـنين .

- وبتاخدها ليه ؟!

- ههههههـه .. عشـان مبسـوط، فرحـان بحياتـى، مبسـوط بالوحـدة والفشـل الـلى أنـا فيـه وأنـى معنديـش أهـل أو صحـاب، هـو صديـق واحـد بـس الـلى فى حياتـى .. دايـماً حاسـس أنـى لـو مـت فى الشـقة بتاعتـى محـدش هيعـرف غـير لـو ريحـة جثتـى طلعـت، ده غـير أنـى مبعرفـش أنـام وعـلى طـول بفكـر فى الإنتحـار والمـوت .

قاطعنى محاولاً تهدئتى :

- أهدى طيب .. أنا معاك اهو وهفضل جنبك.

- ماشـى» أنـت سـندى دلوقتـى مبقـاش فى امـل غـير بيك».

- بـص أنـت هتعيـش معايـا هنـا .. مـن بكـره تجيـب حاجتـك وتقعـد معايـا .

- وأنا موافق طبعاً .

كان العشـاء قـد إكتمـل وأخذنـا نتنـاول الطعـام فى هـدوء مسـتمتعاً بصـوت البحـر وبـرودة الهـواء ومـذاق الطعـام

الشـهى وأنـا برفقـة أخـى الـذى طالمـا حلمـت بوجـوده معـى كل هـذا العمـر .

***

صبـاح اليـوم التـالى استيقظت وأنـا فى غرفـة فندقـى الـذى طلبـت مـن أخـى أن أقيـم بـه هـذه الليلـة وأن أحـضر أغـراضى فى الصبـاح وأقيـم معـه فى فندقـه كان الهاتـف يـرن بصـوت عـالى وفى نغـمات مستمرة ممـا أدى إلى إزعاجـى ..

أمسكت بالهاتف وقلت بصوت مبحوح :

- أيوة يا محسن .

- عملت ايه يابنى ؟ .. لقيته ؟؟

- اه .. قابلتـه وقعدنـا مـع بعـض الحمـد لله أخـيراً رجعـلى حـد مـن أهـلى .

- طيب حلو أوى الحمد لله .. وهتعمل إيه ؟!

- هعيـش معـاه هنـا .. هاجـى النهـاردة عشـان أخـد حاجتى وأجـى تانى

- وهتسبنى فاهم دا لواحدى ؟!

- معلش لحد ما أعرف الدنيا هتمشى إزاى بس .

- طيب .

- استنى منى تليفون على المغرب كده هنتغدى مع بعض .

- ماشى .

شعرت كم تأثر بتلك المفاجأة كم سيتأثر لفراقى .. لهذا أحب صداقة شخصاً واحداً على صداقة أشخاص كثيرون مزيفون ..

جلست على حافة السرير ونظرت إلى الشمس المطلة من النافذة كانت حرارتها دافئة كليلة ظهور «ريحانة» أمامى ..

مرت سنين ولم أتذوق حرارة شمس لها لمسات أشتم بها رائحة الماضى ..

منذ الصغر ولم أشعر بهواء نقى وحرارة شمس دافئة معاً ..هل ستبتسم الحياة حقاً ؟!

أشعر دائماً بالخوف من المستقبل، والذعر مما سيأتى به الغد دائما يراودنى شعور أن حياتى لن تبتسم أبداً ..

هل أصبحت مريضاً بالخوف ؟!

ولكن بعد تجربتى بالموت وسقوطى بعالم شبيه بالآخرة أصبحت أكثر إدراكاً، لا أبالى شئ إلا الموت فقط ..

أصبحــت أكثــر غموضــاً الحيــاة بــدون إكــتراث لشــئ أو لشــخص معــين أجمــل بكثــير ولكــن تعطينــا الحيــاة الأمــل بعــد أن نفقــده، وصلــت الآن إلى هــدفى بعــد ســنين مــن الركــض خلــف إمــرأة غامضــة .. كان شــعورى حقيقيــاً.

هــل كان ظهــور السلســة الرقميــة ١١١ و ٢٢٢ حقيقــة فلكيــة ؟!

الآن وبعــد تركيــزى عــلى شــئ معــين وصلــت لــه وربحــت مــا تمنيــت ولكــن هــل ســوف سيســتمر إيجابيــاً ؟! ثــم إزداد الأمــر ســوءاً عندمــا تذكــرت «ريحانــة « .

مــا هــى العلاقــة التــى تربطنــى بهــا بهــذا الشــكل ؟! هــل شــهامتها معــى أقــرب للإحســان ؟! لم لا تتصــل بــى دائــماً هــل أســافر دون إخبارهــا ؟

لماذا لم تسألنى حتى الآن ماذا فعلت ؟!

كانــت الســاعة تقــترب مــن ٢:٣٠ ظهــراً .. حملــت حقيبتــى وأتجهــت نحــو فنــدق أخــى وصلــت إلى غرفتــه وأعطيتــه الحقيبة فى وداع مؤقــت حتــى الليــل ..

قال وهو يمسك يدى :

- هستناك باليل .. أنا عاملك حفلة فى البار بتاعى وهعرفك على ناس كتير هتحبهم ..

خد الفلوس دى خليها معاك ومتتأخرش الحفلة هتبدء ١١ بالظبط .

فأحتضنته بقوة ونظرت له قائلاً :

- ماشى مش هتأخر هجيب حاجتى وأتغدى مع واحد صاحبى وهاجى على طول .. أنا ماصدقت لقيتك .. أنت الأمل الوحيد دلوقتى .

- تمام .. خلى بالك من نفسك .

- حاضر .

***

القاهرة الساعة ٥:٠٠ مساءاً وصلت إلى باب الغرفة التى أشعر أنها تشبه القبر .. كم أكره الغرفة فهى صُنعت من طين الوحدة ودهنت من لون الكآبة الرمادى ..، سمعت صوت «**Welson**» ركضت نحوه وأحتضنته بقوة ..

كانت حالته ليست على ما يرام ،بالرغم من وصيتى لبعض الجيران أن يقوموا برعاياته.. ولكن لا أحد يهتم !!

رن هاتفى وكان «محسن» فقلت بحماس :

- ايه أنت فين ؟! أنا وصلت .

- طيب حلو أنا جايلك أهو وجايب أكل معايا.

- ماشى يلا مستنيك .

دخلت الغرفة وكان الهواء بداخلها نتن، .

نظـرت إلى أوراقـى الـذى قـد تركـت منهـم ١٠٠ صفحـة هنـا وأخـذت الباقـى لكـى أتذكـر فى الطريـق مـا كتبـت، كانـت النافـذة مفتوحـة ..

كيف تركت النافذة هكذا ؟!

جلسـت عـلى حافـة السريـر مفكـراً فى «ريحانـة» هـل أنتهـت رحلتهـا فى حياتـى ولمـاذا لم تغضـب لتركهـا فى الأسـكندرية بمفردهـا؟.

ولم كانـت اجابتهـا سـخيفة بـــ أوكـى عـلى «**Whats App**»، عندمـا أخبرتهـا؟

قاطعـت أفـكارى صـوت طرقـات عاليـة عـلى البـاب قائـلاً بحنـق:

- مين ؟

- أفتح يا عم هو فى حد يعرفك غيرى !

فتحت الباب وأنا اضحك على مايقوله « محسن « قائلاً :

- ايه ده جيت بسرعة .. أدخل .

- يلا عشان جعان جداً .

- وأنا كمان .

بعد أن تناولنا الغداء وأنا أروى له ما حدث مع أخى، ذهبت إلى المرحاض الجماعى الذى يستعمله معظم سكان هذه العشش وتركت محسن يشعل سيجارة ..

وضعت إلى «**Welson**» طعامه، وكان يأكل كأنه لم يأكل من يوم ميلاده .

بعد أن إنتهيت من غسل يداى أتجهت إلى الغرفة مباشرة ..

وكانت المفاجأة ..

محسن يقف حاملاً ورقة بأطراف أصابعه .. وعند دخولى الغرفة أطلق قنبلة مدوية فى سؤال واحد قاله بدهشة :

- هى ريحانة كانت موجودة يوم الديسكو ؟!

كان قد قرأ أخر صفحات فى الورق الذى تركته قبل أن أسافر .

لم أسمع شئ سوى صوته وهو يقول بحدة :

- رد عليا «هى كانت موجودا فعلاً » ؟!

نظـرت لـه فى ذعُـر حقيقـى وأتسـعت حدقـة عينـى مندهشـاً مـن طريقتـه ثـم قلـت :

- اه .. ليه ؟!

- إزاى يعنى ؟! أحمد أنت كويس بتاخد الدواء ولا لا ؟

- هـو فى ايـه ؟! أيـوة كانـت موجـودة .. أنـت بـس كنـت شـارب ومـش حاسـس باللـى حواليـك .

- إزاى ؟! أنـت هتسـتهبل أنـت عـارف كويـس أوى أنـى مـش مـن النـاس اللـى بـتروح مـن الـشرب .. وبعديـن أنـت عمـرك ماعرفتنـى عليهـا ليـه ؟! دايـماً بتكلمنـى عنهـا وعمـرى مـا شـوفتها .

- أيـوة بـس هـي جـت اليـوم ده وكانـت مسـتنيانى بعربيتهـا وأنـا سـيبتك وروحتلهـا و ....

قاطعنى فى حدة قائلاً :

- أحمـد ده محصلـش هـى مجتـش ولا شـوفتها واللـى أنـت كاتبـه ده مـش حقيقـى .

نظـرت لـه فى دهشـة وتعجـب ودموعـى كادت أن تفـر مـن عينـى وسـألته بصـوت مبحـوح قائـلاً :

- يعنى إيه ؟!

ابتلعـت لسـانى ثـم اتجهـت نحـو السريـر وجلسـت عـلى حافتـه وفضلـت الصمـت عـلى أن أتفـوه بـأى كلمـة غـير مفهومـة..

أعلـم الحقيقـة ولكـن أنكرهـا بقـوة مـن داخـلى رافضـاً الإعـتراف بهـا ليـس فقـط لصديقـى المقـرب ولكـن لم أعـترف بهـا لشـخصى وكيانـى فكيـف يرانـى محسـن الآن إن أعترفـت بهـذا ..

محسـن لم يكـن فقـط صديقـى فهـو عقـلى الـذى أتحـدث معـة دائـماً، ولكـن هـذه اللحظـة أتهـرب مـن عقـلى أركـض حتـى لا يصـل بـى إلى الحقيقـة بداخـلى التـى سـتبدو مرعبـة للنـاس ..

ولكــن هــى مريحـة بالنسـبة لى، فوجودهــا المزيـف يمــلأ عقــلى وقلبــى بالأمــان .. إلى كل المحبـين أتحداكــم أن تحبــوا إمـراة لا تهجـر ولا تغـدر وإن قمـت بالغيـاب عنهـا لا تتهمنـى بالتقصـير، فهـى لم تخذلنـى أبـداً ..

أشـعر بهـا فى كل مـكان وأحـترم وجودهـا الدائـم .. لا أحـد يعلـم كـم أرهقنـى هـذا فى صنعـه فهـى مـن صنعـى أنـا قطعـت

لهـا تذكـرة عنـد السـفر ولم يجلـس أحـداً مكانهـا .. إحتضنتهـا بقـوة فى الشـارع ولا أخشـى أحـداً، تعلمـت منهـا الكثـير وسـاندتنى بقـوة تحسـنت كثـيراً بعـد ظهورهـا بحياتـى.. فكيـف أنكرهـا ؟!

أخـاف عـلى عقـلى وقلبـى ممـا بداخلهـم وأن يتمـرد أكثـر عـلى الواقـع ولكـن الخيـال هـو الحقيقـة المزيفـة لى ولعقـلى ..

فعقـلى إستسـلم مـن وقـت طويـل إلى كل مـا هـو وهـم وتعايـش معـه عـلى أنـه الواقـع ..

« قمة الألم أن تغرب من مخيلتى دون وداع»

قاطعنى صوت «محسن» وهو يقول بحزن :

- طيب وبعدين ؟! أنت لازم تتعالج .

لم أتقبـل كلامـه ونصيحتـه هـذه المـرة كان الغضـب قـد أسـتعمر جـزء كبـير مـن عقـلى ..

قلت له بإنفعال :

- أنا مش مجنون !! أنا مرتاح كده .

- مقلتـش أنـت مجنـون .. بـس لازم تتعالـج عشـان متوصلـش للجنـان .

- أنـا هروح لأخويا أحســن .. مادمت شـايفنى مجنون برضو .

- أحمـد أنـا خايـف عليـك .. أسـتنى متمشـيش وأنـت كده .

كنـت أجمـع كل مـا تـرى عينـى مـن ملابـس وأغـراضى التى أحتاجهـا هنـاك ولكـن كان كلام «محســن» يؤلمنـى .. الـكلام يذبحنـى ببـطء ورقبتـى تنـزف شـلال مـن الدمـاء .

ســأكتب كل مــا أشــعر بــه الآن فأنــا أشــعر بالتحســن لوجودهـا الدائـم حتـى وإن كانـوا يـروه وهمـاً فهـو يسـعدنى.. وكــم أفتقــدت هــذا الإحســاس .. إحساســك أنــك لســت بمفــردك يزيــد مــن قوتــك وإن كان عــلى محمــل الوهــم .

وإن أخــذت الواقــع طريقــاً، ســوف أصبــح أكثــر إحباطــا وأكثــر حقــداً عــلى البــشر، يجــب الإســتمرار لفــترة ثــم المواجهــة..

فالعـلاج لا يأتـى إلا بالإطمئنـان والهـدوء وهـذا مـا قالتـه « ريحانـة».

بعـد أن انتهيـت مـن جمـع أغـراضى وأسـتعددتُ للمغامـرة نظـر لى «محســن» وقـال لى وهـو يحتضننـى :

- كان نفسى أجى معاك .

- متخفش .. أنا بقى ليا سند، أخويا مش هيسبنى .

- ربنا يخليهولك .. بس أنت ناوى على إيه ؟!

- هشتغل معاه وهبقى قوى ومعايا فلوس .. وساعتها هبقى كويس .

- ماشى .. خالى بالك من نفسك.

- حاضر .

***

الساعة ٩:٠٠ مساءاً بداخل القطار أدُون كل ما حدث اليوم، نظرت بجانبى فالكرسى فارغاً بجوارى ..

أين هى «ريحانة» ؟!

رد عقلى وقال فى صورة شخص أبله أراه جيداً أنها هناك بالاسكندرية تنتظرك.

هل نسيت ؟!

كنت أرفض هذا الشخص الذى أستعمرنى طوال الفترة الماضية قلت له بصوت مكتوم لاحظه الناس :

- أبعد عنى بأفكارك دى .. أنا هبتدى حياتى مع أخويا حياة جديدة بكل قوة ومش هحتاج لحد تانى ولا حتى أنت.

نظـر لى أشـخاص بجـوارى وأمامـى فى دهشـة يعتقـدون أننـى قـد جـن جنونـى وأتحـدث مـع نفسـى، منهـم مـن إندهـش فقـط ومنهـم مـن كتـم ضحكتـه السـاخرة ..

ولكننـى لا أبـالى فالنـاس أغبيـاء لا يـرون إلا مـا يظهـر لهـم أعلـم أننـى مريـض وفى سـن صغـير ولكننـى تعلمـت الكثـير وقـرأت الكثـير عـن مـرضى والفـترة الماضيـة أكاد أُجُـزم أننـى إقتربـت إلى نهايـة المطـاف ولكننـى تشـبثت بالأمل مـرة أخرى ..

والآن سأسـتمتع بـكل مـا هـو عـلى الأرض مـن ملـذات الحيـاة ولـن أكـترث إلى أى شـخص سـوى مـن يهمـه أمـرى ..

باقـى مـن الزمـن سـاعة سـابدأ حياتـى الجديـدة، هـل أمـى سـعيدة الآن بلقائـى أنـا وأخـى ؟!

هل كانت تراقبنى وقلبها يتآكل لما يحدث لى؟!

ولكن الآن أتحسن كثيراً فانا أطمئن لما أفعل .

تركت الأوراق وقررت أن أتحدث إلى « ريحانة « قليلاً .

أخرجـت كتـاب مـن حقيبتـى وابتسـمت وأنـا أنظـر إلى الكتـاب وعنوانـه «الإضطرابـات النفـسي» لــ «د.ريحانـة إدريــس»....

مــررت بأصبعــى عــلى الاســم ثــم فتحــت الكتــاب لكــى أســمع صوتهــا ..

الآن يمكننــى الاعــتراف أن «ريحانــة» لم تكــن وهــم فهــى مزيــج بــين الكتابــة والدكتــورة «ريحانــة إدريــس»، والطبيبــة التــى صدمتنــى بســيارتها وأخذتنــى إلى المستشــفى فهــى أيضــاً دكتــورة ولكــن لا أعلــم إســمها حتــى الآن، وبعــد الانتهــاء مــن دفــع الرســوم إلى عامــل الاســتقبال لم أرهــا مــرة أخــرى ..

فتعلق قلبى بها لا أعلم لماذا حتى الآن ؟!

أشــعر بالارتيــاح للإعــتراف بذلــك، ولكــن لمــاذا أنكــرت فى بدايــة مواجهتــى مــع «محســن» هــل خُفــت أن يتهمنــى بالجنــون كــما فعــل ؟! كان عليــه ألا يصارحنــى ويواجهنــى بالمــرض إلى أن أكتشــف ذلــك بنفســى ..

فانــا مازلــت ألمــح خطاهــا عــلى الطريــق وهــى تســير بجانبى، وتتواجــد بداخــل جميــع القطــارات، وأراهــا فى شــوارع المدينــة بإســتمرار، كل الســفن تحمــل رايتهــا، كلامهــا يصــل بجميــع اللغــات ...

أتعلــق بهــا كطفــل أحمــق عــلى فطرتــه مــع أمــه و أســتمتع برغبتــى بالتمســك بهــا.

فأنا أتعلق بها تعلق مرضى ولكننى لا أبالى ولا أحد سيكترث لأمرى .. لا لا أنا على يقين أن أخى سيفعل كل ما بوسعه لعلاجى .. سأذهب إلى أخى الآن بعد خروجى من هذا القطار لينقذنى من نفسى .

***

بعد مرور ساعة ونصف قد وصلت إلى رصيف محطة الإسكندرية، أغلقت حقيبتى جيداً وسريعاً .. وعند خروجى من باب القطار رأيت «ريحانة « كانت واقفة أمام الباب مباشرة نظرت لى نظرة حادة فى غضب، علمت أنها تشعر بالإستياء ناحيتى ..

إبتسمت لها وأحتضنتها ولكنها لم ترفع يدها تجاهى .

أمسكتها من يدها دون كلام وذهبنا إلى سيارة أجرة وأتجهنا إلى الفندق الذى يقيم به اخى .

كان الهواء قد أشتد برداً، ومياه المطر قد أشتدت أيضاً نظرت إلى ملابسها وقلت لها بصوت خافت :

- انتى لابسة خفيف ليه كده ؟!

- عادى .

كانـت إجابتهـا ليـس لهـا طعـم عـلى غـير عادتهـا .. قلـت لهـا مـبرراً :

– أنـا لقيـت أخويـا وكنـت معـاه مكنـش ينفـع أسـيبه قبـل مـا أعـرف ....

قاطعتنى قائلة :

– أنا عارفة كل حاجة.

ضرب الخـوف أطـرافى وأرتعشـت يـداى كعادتهـا، وضعت يـدى داخـل الحقيبـة ثـم أخرجـت منهـا عبـوة الأقـراص المهدئـة ووضعـت قـرص عـلى يـدى وإبتلعتـه دون ميـاه .

نظر لى سائق السيارة وقال فى فضول :

– فى حاجة يا أستاذ ؟!

– لا كنت عايز أخد الدوا بس ومفيش مية .

أعلـم جيـداً أنـه لم يسـأل بخصـوص تنـاول الأقـراص ولكـن كانـت حركاتـى ملفتـة للنظـر .

وضعـت سـماعات الأذن حتـى لا يشـعر السـائق أننـى أتحـدث إلى نفسـى، نظـرت عـلى يمينـى وقلـت لهـا :

– بصى أنتى ساعدتينى كتير و .....

قاطعتنى فى حسم وقوة :

– أحمد انا لازم أختفى من حياتك خلاص بقى، أنت لازم تعيش مع أخوك حياة سوية وتنسانى .

قالتها ونظرت إلى الشارع من نافذة السيارة .

شعرت وكأنها إنتزعت قطعة من قلبى بأسنانها الحادة فدمعت عينياى وأرتعشت شفتاى حزناً .

نظرت إلى هاتفى وأتيت بـــ «**sound cloud**»وضغطت على قصيدة للشاعرالذى طالما أدهشتنى قصائده «هشام الجخ» تقول :

« إنطردى الآن من الجدول»

موتى فالكل هنا ماتوا .. وأنا اعتدت حياتى أرمل

وأعتدت الهجر بلا سبب .. وبرغم الحيرة لم اسأل

غيبى فلكم قبلك غابوا .. لا شئ يجئ ولا يرحل

وانا والغربة مازلنا نبحث عن وطن لنظلل

توقفت السيارة أمام الفندق ثم أعطيت السائق أجُرته وانطلق فدلفت إلى داخل الفندق كان فى إستقبالى شابان أخذو الحقيبة ورحبوا بى كثيراً، ثم قالوا بكلمات لم أفهم

منهـا سـوى أن أخـى ينتظرنـى داخـل « البـار» وأن الإحتفـال بإنتظـارى أيضـاً ..

فتحـوا لى بـاب البـار وكان صـوت الأغانـى عاليـاً والمـكان مزدحمـاً بشـباب رجـال ونسـاء يبـدو عليهـم حالـة السُـكر، وكان أخـى يقـف بعيـداً أمـام رجـل « البـار» وكان يعطـى أوامـره إلى رجـلان يبـدو مـن هيئتهـما أنهـم يعمـلان لحسـابه ..

كنـت أمُـر بصعوبـة بعـد دخـولى مـن البـاب، أشرت إلى أخـى فنظـر لى مبتسـماً وقـال بصـوت عـالى وهـو يلـوح بيـده مشـيراً أن آأتـى مسرعـاً :

- أحمـد !! خلو أخويا يعدى .. تعالى .

كانـت جميـع الأوجـه مبتسـمة وسـعيدة ومـا بـين تلـك الأوجـه رأيـت شـخصاً لا يبتسـم ملامحـه يبـدو عليهـا التركيـز ويتجـه نحـو أخـى ناظـراً إليـه مبـاشرة ..

برغـم الأصـوات الصاخبـة والإزدحـام، لفـت إنتباهـى نظراتـه الحـادة وكان يسـير ببـطء متجهاً نحـو أخـى ولم يلتفت له أحـداً سـواى، كان أخى يبتسـم بشـدة لرؤيتـى ويشـير لى بيده ..

عندمـا إقـترب ذلـك الشـاب أظهـر مسدسـه الـذى كان يحملـه دون أن يـراه أحـداً، ثـم وجهـه نحـو رأس أخـى مباشرة، أتسـعت حدقـة عينـى وأنـا أتمـزق رعبـاً ..

قلـت بصـوت عـالى وقـوى كادت أحبـالى الصوتيـة أن تنقطـع :

– مـحمد !!!

ولكنـه كان أسرع منـى كان قـد ضغـط عـلى الزنـاد، وخـرج صوتـاً مدويـاً صـوت طلقـة رصـاص شـعرت أنهـا فى قلبـى زرعـت كـ بـذرة فاسـدة تنمـو بداخـلى .

سـقط أخـى أرضـاً بعـد أن خرجـت الطلقـة مـن رأسـه مـع شـلال مـن الدمـاء لم أرى شـئ بعدهـا سـوى الظـلام وصـوت صرخـات النسـاء وعلمـت بعدهـا أن ذلـك الشـاب هـو إبـن الرجـل الـذى قتلـه أخـى .. وجـاء لينتقـم من أخـى ويثـأر منه .

***

أمـا أنـا الآن أجلـس فى حديقـة لمصحة نفسـية لم أعلم إسـمها حتـى الآن بعـد أن قُتـل أخـى ظللـت نائـماً ثلاثـة أيـام وبعـد أن أفقـت اصبحـت لا أتكلـم لا أريـد التحـدث مهما كان السـبب .

يأتـون أشـخاص لا أعلـم عنهـم شـئ يتحدثـون معـى عـن أخـى وكـم كانـوا يحبونـه ثـم يذهبـون ويغـادرون دون أن أفتـح فمـى أو أنظـر إليهـم ..

جـاء لى «محسـن» منـذ يومـين وأعطانـى أوراقـى التـى طلبتهـا منـه عندمـا جـاء مـن قبـل كان حزيـن لمـا رأه فى عينـى مـن خـذلان ويـأس ..

فأنـا الآن أكتـب فقـط وبعـد أن أتـرك تلـك الأوراق وهـذا القلـم سـأتحول إلى قطعـة بشريـة مجمـدة كـما حـدث مـع أمـى فأنـا أعلـم جيـداً حالتـى، فأنـا فى نهايـة المطـاف ..

كل يـوم أزداد سـوءاً بعـد الجلـوس فى حديقـة المصحة أشـعر بالضيـق والإختنـاق ثـم أذهـب إلى نافـورة الحديقـة وأسـقط بداخلهـا وأجلـس فى الميـاه مسـتمتعاً كـما لـو كنـت برحـم أمـى ثـم يأتـين الممرضـات ليخرجونـى منهـا ويصرخـن بوجهـى بكلـمات لا أسـمع منهـا شـئ .. وهـذا وضـع الجنـين الـذى قـد شرحتـه لى ريحانـة عنـد جلوسـنا معـاً فـوق تانـدة العـمارة ..

فأنـا لم أتذكـر كلام الدكتـور الـذى كان يتحـدث مـع أبى عن أمـى وهـا أنـا الآن يحـدث لى مثلـما حـدث لأمـى، أتذكـر جيـداً مـا كان يحـدث لأمـى عنـد نومهـا وعنـد جلوسـها بمفردهـا تذكـرت كل شـئ عنـد سـماع «ريحانـة « تـشرح ذلـك المـرض .

هـل كان لابـد ان يرحـل أخـى وهـو صغـير ونخضـع للقـدر قبـل أن يحـدث ذلـك ؟! هـل كان ذلـك إختبـار مـن عنـد الله وهـا أنـا الآن أرى نتيجـة عمـلى ؟!

هـل كان عـلى أن أتحـلى بالإيـمان والثبـات والثقـة فى الله أكثـر مـن ذلـك !؟

الآن ..

أنـا فى مرحلـة متأخـرة جـداً مـن ذلـك المـرض اللعـين، أنكمـش عنـد النـوم كجنـين لا يريـد سـوى رحـم دافـئ وأمـان لا ينتهـى، رحـل كل مـن أعيـش مـن أجلهـم وكل الذيـن نكتـب مـن أجلهـم لا يقـرأون ..

لم أنتهـى كل شـئ بعـد أن ابتسـمت الحيـاة مـرة اخـرى ؟! هـل نسـيت الخالـق وأنشـغلت بالمخلـوق ؟!

من ينسى الله ولا يهمل ؟!

هـل كان الله يكتـب لى الخـير فى البُعـد عـن أخـى هـل كان عـلى أن أرجـع الى الله بعـد سـقوطى أرضـاً ورؤيتـى للمـوت ؟!

الآن لا أمتلـك مـا أخـسره فالحيـاة كابـوس نسـتيقظ منـه عـلى المـوت ..

نظـل دائـماً نخـسر ولا نتعلـم حقيقـة الحيـاة ثـم ينتهـى بنـا المطـاف لسـؤال واحد فقـط «ما الدافـع للبقاء على قيـد الحياة ؟!»

ولكـن هـل سـأنتحر وأقتـل نفسـى لأتخلـص مـن تلـك الألام التـى زُرعـت بعقـلى وقلبـى ؟! لمـاذا لا نتوقـف عـن

إرهاق عقولنا فى مقابل القليل من السلام النفسى ؟! فأنا أصبحت الآن معتقل داخل عقلى ..

والأفكار السلبية أصبحت تتكاثر بداخله وتركض الذكريات بداخل عقلى كعقارب تجرى مجرى الدم تمزق العروق، كم تمنيت الموت وأنا حيوان منوى صغير لا يتحمل الركض إلى تلك البويضة الصغيرة .

أردت التحدى فتخطيت ما هو مسموح لى من طاقة تحمل فأنهارت نفسى، فمن رحمة الله علينا أنه لا يُكلف نفساً إلا وسعها .

أما بعض من حولى فينظرون لى فى لا مبالاة والبعض الآخر ينظر لى فى شفقة وإستسلام لما وصلت إليه من حال .

هل ستأتى لزيارتى ؟! .. لا لن تأت .

وإن جاءت .. هل ستتحملنى ؟! .. لا فلا أحد يبالى .

الآن سأتخشب وأترك كل شئ .. فأنا أتممت مراحل مرضى

حتى وصلت إلى آخر مرحلة

«سأموت وأنا على قيد الحياة»

«الجمود» «**Catatonia**»

خاتمة

أشعر بالإستياء عندما أرى هذا الجيل والأجيال الصاعدة لا تتحمل الصغير من المشاكل فيشعرون بالضيق والغضب والتمرد فى سن صغير فيلجأون إلى كل ما هو مخدر ومُسكر فى وهم الهروب من الواقع .. وانا لست بواعظاً إنما أنا من هذا الجيل الذى يلجأ أحياناً إلى الهروب من الواقع ..

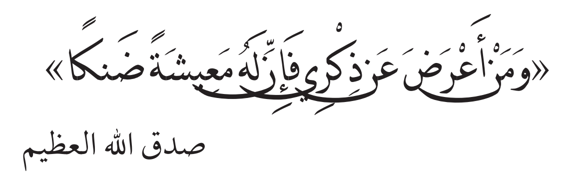
ستقوم الأيام بتقديم بعض الإختبارات لك وعليك أن تجتازها وتقاوم ما تحب وتتحمل ما تكره و ما لا نطيق تحمله فعليك التحلى بالإيمان الداخلى وليست العبادة الظاهرية ..

التحلى بالإيمان اقوى واليقين بالله أسرع..

إجعل هروبك دائماً إلى الله وأعلم أنها منزلة عالية جداً صعب الوصول إليها ولكن هناك مقام عالى جداً لمن يفعل ذلك وتذكر قوله تعالى «وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب»

ونحـن بعيـدون كل البعـد عـن ذلك ولكـن يجـب أن نحاول مـن الآن، فيجـب أن نتمسـك بـالله كطفـل يلعـب ويعبـث بـكل مـا حولـه ولكنـه حينـما تضيـق بـه السُـبل يبحـث عـن الأمـان الـذى يرافقـه فى تمسكه بجلبـاب أمـه وهـى معـه ..

فـالله أرحـم بكـم مـن الأم وأعلـم جيـداً أنـه لا راحـة فى البعـد عـن الله لقولـه تعـالى



صدق الله العظيم

التواصل مع داركتاب

Email : darkitabone@gmail.com

fasbook : darkitabone

البدج داركتاب

٠١٠٩٧٥٥٣٣٢٨